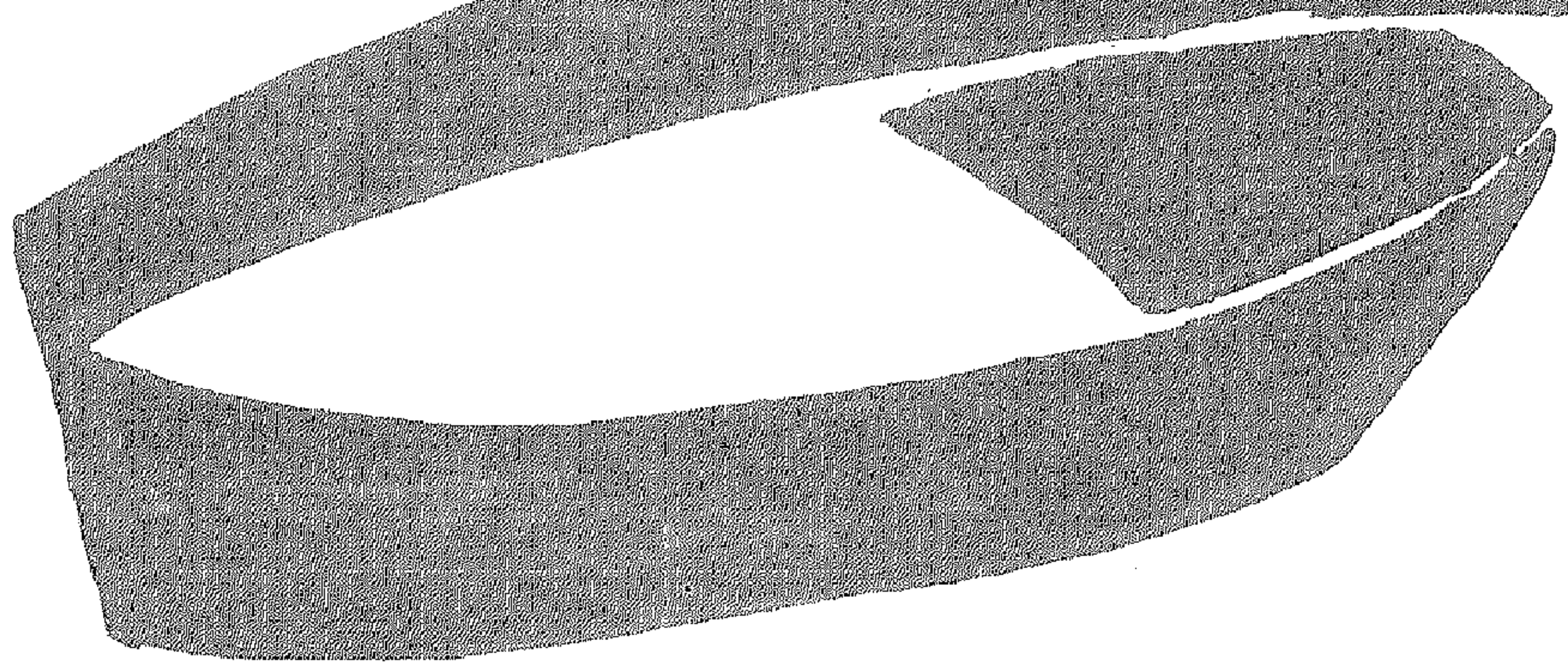


دكتور محمد سيد محمد



المصافحة بين التاريخ والأدب

دار الفكر العربي

الصَّحَافَةُ بين التَّاريخ والأدب

تأليف

الدكتور محمد سيد محمد

أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ شارع جوار صفي / القاهرة
ص ب ٣٠٠ - ت ٧٦٠٥٢٣

تصميم الغلاف : الفنان اسماعيل دياب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات الكتاب

- * مقدمة .
- * تمهيد : الصحافة ليست مهنة البحث عن المتاعب .
- * الفصل الأول : بين الصحافة والتاريخ .
- * الفصل الثاني : بين القصة الأدبية والقصة الخبرية .
- * الفصل الثالث : ما المجلة الأدبية ؟
- * الفصل الرابع : الصحيفة والاعلام الدولي .
- * الفصل الخامس : كيف نقرأ الراى العام ؟
- * الفصل السادس : الاتصال الثقافى : مفهومه ووسائله .

مقدمة

بين الصحافة والأدب نسب عريق ، وبينها وبين التاريخ نسب وثيق • ولأن الصحافة ظاهرة اجتماعية وحضارية فان اهتمام القارئ العادى أو المتعلم البسيط يقف جنباً الى جنب مع اهتمام الباحث والمتخصص فى متابعة الصحافة ، وان اختلفت شدة الاهتمام وأبعاده بين كل من الفريقين •

ان الصحافة جزء من الحياة اليومية للقارئ العادى فى عصرنا هذا ، وهى فى الوقت نفسه جزء من الاهتمام اليومى لقادة الشعوب وحكامها ، فمن خلالها يرى الناس صورة للعمل الوطنى بصفة عامة ، ومن خلالها يرى القادة والحكام صورة للأمانى الوطنية واتجاهات الرأى العام • بل ان الصحافة المعاصرة استطاعت أن تعبر الحدود ، وتصبح وسيلة اعلام دولى •

وهذه الفصول تضع للقارئ العام والقارئ الباحث والمتخصص صورة متعددة الأبعاد للصحافة • ولقد حاولت أن أجعل هذه الصورة متميزة وواضحة ، وبين اطارين هما اطار التاريخ واطار الأدب • ومن حقائق التاريخ والأدب حاولت أن أنقل مشاهد حياة نصور الصحافة فى ثوبها الحقيقى •• ثوب الفكر والتفاعل والحوار •

واننى آمل أن يثير هذا الكتاب همم زملائى وتلاميذى ليقدّموا للقارئ العربى صوراً أخرى من كنوز الصحافة العربية القابعة على أرفف المكتبات شاهداً على جهد أساتذتنا وآبائنا ، وأجيال سبقتنا ومهدت لنا الطريق •

والله ولى التوفيق •

تمهيد

الصحافة ليست مهنة البحث عن المتاعب

من أكثر الأقوال شيوعا عن الصحافة أنها مهنة البحث عن المتاعب • ولكننى لا أذهب مع القائلين بأن الصحافة هى مهنة البحث عن المتاعب ، فإن هذا التعريف وان بدا رومانسيا طريفاً الا أنه بغير معنى دقيق محدد • واننى أستطيع أن أضع محاولة لتعريف مهنة الصحافة بأنها مهنة البحث عن الحقائق ، ونشرها بطريقة رشيدة تنفع المجتمع وتنميه •

وهذا التعريف الذى يخص الصحافة المكتوبة ينطبق الى حد كبير على الصحافة المسموعة والمرئية • فإنه من الشائع اطلاق تسمية الصحافة المسموعة على الراديو ، والصحافة المرئية على التليفزيون • والسؤال دائما عن الصحافة هو : هل هى صناعة ؟ أم حرفة ؟ أم رسالة ؟

ان الاجابة الموضوعية لهذه الأسئلة هى أن الصحافة كل ذلك فى آن واحد • ولطالما كانت هذه الأسئلة موضع جدل ونقاش بين علماء الاجتماع والصحافة والاقتصاد وغيرهم • ولقد تعرض أمر الصحافة وما يزال يتعرض لخلاف شديد حول النظر اليها كصناعة بسبب ضخامة الاستثمارات فيها ، وتعدد الآلات والمعدات التى تستخدمها الصحيفة اليوم ، والتى جعلت منها ما يشبه المصنع الحديث ، وحول النظر الى الصحيفة باعتبارها مؤسسة لها رسالة اجتماعية •

ومهما يكن الاختلاف فإن النظرة الموضوعية لمفهوم الصحافة ، والادراك الشامل لكونها صناعة ، يبين لنا أنها صناعة ذات طبيعة خاصة ، بسبب ارتباطها بمصلحة الجماهير الثقافية والاجتماعية •

وجوهر الاختلاف بين وجهتى النظر المتطرفتين فى أمر الصحافة ينصب فى رؤية البعض للصحافة بأنها رسالة سامية يجب أن تترفع عن الربح ، وأن القائمين عليها هم رسل التوعية والارشاد للشعوب فى هذا العصر ، بينما يرى البعض الآخر أن الصحافة مجرد صناعة كالمواد الغذائية أو غيرها من الصناعات ، وأن هدفها الأول هو تحقيق الربح ، بل انها تملك وسيلة تحقيق الربح وتحقيق النفوذ معا .

وهكذا نرى بغير عناء أن كلا النظرتين متطرف فى فهم الصحافة ، فهى صناعة ذات طبيعة خاصة لأن الجانب المعنوى مرتبط بالجانب المادى ارتباطا عضويا ، فالمطبعة والورق والأحبار تعمل مع الفكر فى كل يوم وفى كل عدد من أعداد الصحيفة .

ولكى ندرك أهمية الصحافة فى عصرنا الحاضر علينا أن ننظر الى شعوب الكرة الأرضية جميعا ؛ هل هناك شعب من كل هذه الشعوب لا تصله الصحف ؟

ان اجابة السؤال بطبيعة الحال هى : لا ، حيث لا يوجد شعب بصفة عامة بغير صحف . لقد أصبحت الصحف ضرورة من ضرورات الحياة اليومية فى هذا العصر .

والصحيفة تعبير يشمل الجريدة والمجلة معا . وفى رأى أنه يمكن التفرقة بين الجريدة والمجلة بثلاثة مقاييس رئيسية ، تحوى الشكل والمضمون لكل صحيفة . أولها الفترة الزمنية لنتابع الصدور . وهذا المقياس قد يبدو لأول وهلة مقياسا فى الشكل ، لكنه الأهم عندى ، لأن الصدور اليومى لصحيفة ما يؤكد كونها جريدة ، ولأن هذا المقياس أيضا مرتبط بالمضمون ارتباطا وثيقا لأن الصحيفة اليومية لا يمكن أن تتخصص كما تتخصص المجلات . المقياس الثانى هو المادة التحريرية وهى فى الجريدة الخبر فى المحل الأول ، وفى المجلة المقال بأشكاله المتعددة ، والتقارير الصحفى بأنواعه الأربعة من حديث وتحقيق وريبورتاج وماجريات ، الى جانب القصص والطرائف والرسوم والصور وما شابه ذلك . المقياس الثالث هو الحجم ، فقد درجت

الجرائد خلال تاريخها العالمى أن تكون فى حجم أكبر ، كما درجت المجلات خلال تاريخها العالمى أن تكون فى حجم أصغر • وذلك برغم صدور صحف يومية بالحجم النصفى (التابلويد) ، وبرغم صدور مجلات بحجم الصحف اليومية ولكن العبرة بالأغلب والأعم ، وما شذ عن هذه القاعدة قليل • والى جانب هذه المقاييس الثلاثة الرئيسية توجد مقاييس ثانوية كنوع الورق والغلاف واستخدام الألوان وطريقة الطباعة والاخراج الصحفى ، واختلاف كل ذلك بصفة عامة فى كل من الجريدة والمجلة • وهذا ما سنعالجه بشئ من التفصيل فى الفصل الثالث •

ان هذا التحديد لمفهوم الصحيفة بأنها تشمل الجريدة والمجلة يساعدنا على أن نفرق بين النشرة وبين المجلة • ويساعدنا أيضا على ادراك التطور القانونى لتعريف الصحيفة •

ولكى نفرق بين المجلة والنشرة لابد من التأكيد على أن المجلة دورية تمثل عملا صحفيا بكل ما يتطلبه العمل من عمومية واتصال مباشر بجماهير القراء • فليست مضابط البرلمان أو تقارير النشاط السنوى للهيئات الثقافية أو ما شابهها مجلات ، حتى لو اتخذت لنفسها عنوان مجلة لأن التسمية الصحيحة لها هى النشرة • فقد نصت معظم قوانين المطابع والمطبوعات على أن النشرة هى كل ما يطبع أو ينشر فى موضوعات خاصة أو عامة من حين لآخر ، وفى مواعيد مختلفة منتظمة أو غير منتظمة • وأن الصحيفة هى كل مطبوع يصدر فى مواعيد دورية ، سواء كانت هذه المواعيد يومية أو أسبوعية أو نصف شهرية أو سنوية أو نصف سنوية •

ولقد تطورت صناعة الصحافة فى القرن العشرين الميلادى نتيجة لعدة عوامل رئيسية منها :

- ١ — التقدم العلمى وما صاحبه من استخدام « للتكنولوجيا » فى مجال الاعلام والمجالات المتصلة به •
- ٢ — ظهور الصحافة الشيوعية — فى البلدان التى طبقت المذهب

الشيوعي — على أسس غير الأسس الاقتصادية التي عرفتھا الصحافة
الرأسمالية طوال تاريخھا الطویل •

٣ — بروز ظاهرة التكتلات الاعلامية في المجتمعات الرأسمالية
المتقدمة ، وما تبعھا من احتكارات ، حتى ان العديد من المجتمعات
الغربية المتقدمة تصدت بالتشريع لمحاربة الاحتكارات •

٤ — ازدهار صحافة العالم الثالث بعد تخلص العديد من الشعوب
من سيطرة الاستعمار •

ويتسم هذا التطور في صناعة الصحافة بسمتين أساسيتين :

الأولى : تنصب على الشكل ، ويتجلى ذلك في اختفاء الفرد
المالك للصحيفة الى حد كبير في كثير من دول العالم الرأسمالي
المتقدم • وتبعية الصحف في ملكيتها الى شركات مساهمة ، ثم تطور
الأمر الى الاحتكار ، ودخول عدة صحف في شركة واحدة أو مساهمة
عدة شركات في عدة صحف • وذلك تبعا لنظريتهم القائلة بأن الحلقة
الضعيفة في السلسلة تعوضها حلقة قوية ، وان ذلك يجنب الهزات
الاقتصادية • كذلك تطور الشكل في صناعة الصحافة بضخامة الآلات
والأجهزة والمعدات وأنواع المواد الخام من ورق وألوان وغير ذلك •

أما السمة الثانية : فتتصب على المضمون ، ومن البديهي أن
الصحافة وهي مرآة المجتمع لابد وأن تعكس معتقدات المجتمع وأفكاره
ووجهة نظره ، والمؤثرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يتأثر
بھا المجتمع • فمن الضروري أن يتبع سيطرة الاحتكارات الرأسمالية
على الصحف احتكار الأفكار ذاتها واحتكار الاعلام والمعرفة ، وأن تدافع
الصحافة الماركسية عن سيطرة الطبقة العاملة ومبادئ الشيوعية ،
وأن تخوض صحافة البلدان النامية معركة حامية الوطيس ضد
الاستعمار والتدخل الأجنبي ومحاولة الاحتواء من القوى العظمى
شيوعية أو رأسمالية •

والظاهرة الجديرة بالاهتمام في المجتمع الرأسمالي المتقدم هي
سيطرة الشركات الاحتكارية من صناعات أخرى — كمصناعة الأسلحة —

على الصحافة ، بما يعود بالضرر على شعوبها وعلى العالم بأسره .
ويذهب « جواهر لال نهرو » الزعيم الهندي الأسبق وأحد أقطاب
دعوة عدم الانحياز في القرن العشرين في كتابه « لمحات من تاريخ
العالم » الى القول بأن شركات الأسلحة قاومت فكرة نزع السلاح
بالصحافة . وذكر أن إحدى لجان عصبة الأمم التي انتدبت خصيصا
للتحقيق في مسألة المصانع الخاصة للأسلحة ، أكدت أن هذه المصانع
قد أبدت نشاطا كبيرا في بث روح الفرع من الحرب ، كما أثبتت أن
هذه المصانع تعمل على نشر تقارير خاطئة عن المصروفات الحربية
والبحرية لبلاد عديدة بقصد اغراء بلاد أخرى على زيادة نفقاتها على
التسليح . . . ! وأن هذه الشركات اشترت الصحف للتأثير في الرأي
العام بما يخدم مصالحها .

وقد ذكر الكاتب البريطاني الشهير « هارولد لاسكي » في كتابه
« محنة الديمقراطية » أن إحدى شركات الأسلحة الفرنسية اشترت
جريدتين في فرنسا لتحقيق مصالحها الخاصة . وعلق « لاسكي »
على ذلك بقوله : « ان القدرة على توجيه الأخبار وجهة معينة هي
نفسها القدرة على منع الجمهور من أن تصله المادة التي يمكنه على
أساسها أن يصدر أحكاما مترنة . وأن كل من يقارن الطريقة التي
عالجت بها الصحافة البريطانية موضوع نزع السلاح خلال الفترة
من مؤتمر جنيف عام ١٩٣٢ بالأهمية الكبرى التي أضفتها تلك الصحافة
على تتبع فضيحة تتعلق بأحد رجال الدين الانجليز في الفترة نفسها
لن يجد أقل صعوبة في اكتشاف الطريقة التي يتكون بها الرأي العام
في إحدى الدول الرأسمالية الديمقراطية » .

وسيظل يثار السؤال الذي تحدثنا عنه حول حرفة الصحافة
وصناعة الصحافة ورسالة الصحافة ؟ وهو حوار يثرى هذه الأبعاد
جميعها . ان الحوار حول فنية الصحافة وحرفيتها واعتبارها صناعة
يعكس التصور العام لمعنى الصحافة بأنها الاعلام ، الى جانب ما يعكسه
من اهتمام خاص بالجريدة والمجلة . ان هذا السؤال عن حرفية
الصحافة وفنيتها وكونها صناعة يمكن أن يدور حول معظم وسائل

الاعلام ، ويسير في نفس دوائر النقاش • ولا بأس في ذلك فالصحف من جرائد ومجلات هي التي أعطت لحضارتنا الحديثة معنى الاعلام المعاصر • والصحف من جرائد ومجلات هي الأم التي نشأ من أبنائها من فاقها في بعض الوجوه ، ومن اختلف عنها في الملامح والسمات اختلافا جوهريا ، كالاذاعة التي اعتمدت على الكلمة المسموعة بدلا من الكلمة المكتوبة ، أو السينما التي اعتمدت على الصورة أساسا ثم الحوار بعد ذلك • ولكن يشد كل وسيلة من وسائل الاعلام بالصحف خيط يشمل الشكل والمضمون معا • لقد أخذت معظم وسائل الاعلام أشكال التحرير الصحفي والاعلان الصحفي والاخراج الصحفي وفصلتها على نفسها • كما أخذت الخبر وما يتشقق عنه من حديث ورييورتاج وغير ذلك وصنعت منه الكثير من مادتها الاعلامية •

ولقد سبقت الصحف معظم وسائل الاعلام ، أو بمعنى أدق سبقت وسائل الاعلام « التكنولوجيا » الحديثة كالراديو والتليفزيون والسينما • ولكنها لم تتخلف نتيجة ظهورهم ، بل استفادت من « التكنولوجيا » ، وظلت تضيف كل يوم قارئاً جديداً وفناً جديداً •

ان الصحف أعطت وأخذت وأثرت وتأثرت ، ونجد ذلك بدرجات متفاوتة مع مختلف وسائل الاعلام ، وفي مختلف وسائل الاعلام •

وبرغم ذلك ظلت وظائف الصحافة الرئيسية في المجتمع هي الوظائف التي صنفها علماء الصحافة منذ عشرات السنين • وهي : الاخبار ، والتفسير ، والتثقيف ، والتوجيه ، والتسلية ، والاعلانات التي تعد اخبار السوق وجزاء من العملية التسويقية للبضائع والخدمات • وان أضيفت الى وظائفها وظائف جديدة بحكم التطور الاجتماعي والمهني • ولكن هذه الوظائف لا تسير على وتيرة واحدة ، في كل الصحف ، أو في كل المجتمعات • ومن ثم برز الاهتمام بضرورة وضع اطار شامل للاعلام في المجتمع ، أو فلسفة شاملة للاعلام في المجتمع ، وهو ما أطلق عليه نظريات الاعلام ، تلك التي تختلف من مجتمع الى آخر •

الفصل الأول

بين الصحافة والتاريخ

• الزمان : ١٩١٨

• المكان : باريس

يلتقى سعد زغلول ببعض المصريين في باريس وبينهم طه حسين ،
• ويدور الحوار بينهما •

سعد زغلول : ماذا تدرس في باريس ؟

طه حسين : أدرس التاريخ •

سعد زغلول : أو مؤمن أنت بصدق التاريخ ؟

طه حسين : نعم ، إذا أحسن البحث عنه والاستقصاء فيه
وتخليصه من الشائبات •

سعد زغلول : أما أنا فيكفي أن أرى هذا التضليل وهذه
الأكاذيب التي تنشرها الصحف في أقطار الأرض
ويقبلها الناس في غير تثبت ولا تمحيص ، لأقطع
بعد ذلك بالأ سبيل في استخلاص التاريخ من هذه
الشائبات • وانظر الى ما ينشر عنا في مصر وفي
باريس ، وحدثنى كيف تستطيع أن تستخلص منه
التاريخ الصحيح (١) •

البعد الفلسفي :

هذا الحوار الذي دار بين الزعيم والأديب المصريين يصور لنا
ذروة المشكلة التي نبحثها ، وهي العلاقة بين التاريخ والصحافة •

والواقع أن هذه العلاقة تربطها أبعاد متعددة ومعقدة ومترابطة .
فإذا نظرنا الى بعدها الفلسفى نجد أن تفسير التاريخ شىء من الفلسفة،
وموقف الانسان فى السياسة ونظرته الى قضايا المجتمع تحدد رؤيته
التاريخية ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر تخضع الصحيفة باعتبارها
وسيلة اعلام الى النظرية الاعلامية التى تسود فى المجتمع ، والى موقف
الصحيفة من مفهوم الديمقراطية ، كما تخضع الصحيفة الى طبيعة
ملكيتها وظروف ادارتها وغير ذلك من العوامل التى تحدد شخصيتها .
ومن العلاقة بين التاريخ على أساس أنه ليس أحداثا مجردة وباعتبار
تفسيره فلسفة ، وبين الصحيفة كوسيلة اعلام تعيش فى نظام اجتماعى
معين وتنتمى الى فكر وعقائد ولها شخصيتها المتميزة ، نجد أن مضمون
العلاقة وشكلها بين التاريخ والصحافة لابد أن يختلف من فكر اجتماعى
الى آخر ومن مجتمع الى آخر ومن جيل الى جيل .

تاريخ الصحيفة :

البعد الثانى الذى يساعدنا فى استجلاء العلاقة بين الصحافة
والتاريخ هو تأريخ صحيفة من الصحف حيث تصبح الصحيفة مادة
تاريخية . وعندما يتعرض باحث لدراسة صحيفة ما دراسة تاريخية فإن
أسئلة رئيسية ينبغى أن يجيب البحث عنها هى : ما هى الصحيفة لمؤرخ
الصحافة ؟

- * هل هى البواعث التى دعت الى انشائها واصدارها ؟
- * هل هى الأوراق أو المجلدات التى تركتها لنا فى رفوف المكتبة ؟
- * هل هى الكتاب والصحفيون الذين كتبوا فيها وتولوا أمرها .
ومدى تأثيرهم فى رأى العام والمجتمع وتأثرهم به ، سبقا
لصدورها ، وامتدادا لما بعد توقفها ، وليس على صفحاتها
فحسب ؟

- * هل هى الفنون الصحفية التى احتوتها الصحيفة ، ومدى
تطورها على صفحاتها ، ومدى تطويرها لذوق القراء ؟

لا شك عندى فى أن دراسة أية صحيفة لأبد لها من أن تجيب على كل ذلك ، بل وما حول ذلك أيضا مثل شهود الرؤية المهتمين ، ان وجدوا ، ومثل أوراقها وملفاتها لدى الجهات المختلفة ، ومثل جهود الإداريين وأصحاب المهن الصحفية العاملين والمساهمين فى إصدارها واستمرارها .

التاريخ مادة صحفية :

البعد الثالث للعلاقة بين التاريخ والصحافة نراه اذا نظرنا الى التاريخ كمادة صحفية أو باب من أبواب الصحيفة أو صفحة تحريرية فى الصحيفة • وعندما يصبح التاريخ مادة صحفية فانه يكتسب أشكال التحرير الصحفى الى حد ما ، فنجد مثلا أن نشر الوثائق لأول مرة يحمل عنصر الجودة الذى يعد عمادا من أعمدة تقييم الخبر • كما أن تفسير الخبر يحتاج الى لمحة تاريخية فى كثير من الأحيان تربط حلقات الأحداث وتجعل الخبر مفهوما لدى القارئ وذا معنى • كما نرى فى اسقاط حوادث التاريخ على واقع معاصر أبلغ تعبير عن رأى أو موقف فى جدل أو صراع اجتماعى قائم • هذا الى جانب النوادر التاريخية التى تدخل فى باب الطرائف الصحفية • وكلما كان المؤرخ وثيق الصلة بالعمل الصحفى وله فكر سياسى واجتماعى واضح كانت كتاباته التاريخية التى تنشر فى الصحف أقرب الى قلوب القراء وعقولهم ، واكتسبت كتاباته التاريخية نفس الذبوع والانتشار والاقبال الذى تلقاه الموضوعات الصحفية الناجحة • يمكن اذن أن تكون المادة التاريخية فى الصحف قريبة من الخبر فى نشر الوثائق لأول مرة ، ويمكن أن تكون قريبة من التحقيق فى دراسة واقعة تاريخية اختلف المؤرخون حولها ، ويمكن أن تكون قريبة من مقال الرأى عندما يسقط المؤرخ أحوال الماضى فى ضوء الحاضر • هذا الى جانب الطرائف التاريخية بطبيعة الحال التى تسعى الى تسلية القارئ وامتناعه وتثقيفه • ومن الجدير بالذكر أن من المجالات المتخصصة مجالات تختص بالتاريخ • وهى مجالات سيارة وليست نشرات عملية أو أكاديمية •

البعد الاجتماعي للتاريخ والصحافة :

ان بعدا رابعا نتبينه في توضيح العلاقة بين التاريخ والصحافة بمعناها الواسع — الاعلام — هو البعد الاجتماعي • وهو بعد متشابك يشرح جذور العلاقة بين قيم المجتمع ومثله وبين تفسير التاريخ وعلاقة الفن بتفسير التاريخ • وسنضرب بألمانيا النازية مثلا على ذلك ، من دراسة للفيث من الباحثين الأمريكيين ^(٢) عن استخدامات الاتصال في المجتمع ، حيث تذكر هذه الدراسة أن المجتمعات تفرز أنظمة من التعبير والافصاح متوازية ومتصلة بعضها ببعض ، تلك الأنظمة تعكس في مركب اجتماعي شامل قيم المجتمع ومثله • وتحاول المجتمعات — بدرجات متفاوتة من الحماس — أن تبرز منطق هذه الارتباطات المتشابكة لقيمتها ومثلها ، كاستخدام القصص و « الحوادث » في تفسير التاريخ ، ولكن هذه التفسيرات تأتي من داخل المجتمع ، ولهذا فهي جزء من المركب الاجتماعي بمعانيه الشاملة • ان هذه التفسيرات ليست خارج نطاق المركب الاجتماعي ، وليست فوقه ، ومن ثم فان مثل هذه التفسيرات من مجتمع ما تضيف مستوى آخر الى المركب الاجتماعي دون أن تضيف دلالة جديدة • ان المجتمعات وهي تفسر نفسها بنفسها تهتم بصفة خاصة بإبراز تاريخ يجعل هذه التفسيرات صحيحة • ولذا نرى الوعي كأنما صاغه فنان قصد أن يركب المعنى التاريخي والأحداث معا في نموذج واحد حتى أن البداية لا بد أن تؤدي الى النهاية • والتاريخ الألماني يقدم لنا نموذجا للعلاقة بين الفن والتاريخ • فلقد كشف النازيون عن عنصر التأثير المتبادل بين الاثنين وجعلوه قاعدة لدعايتهم • لقد أعانتهم العلاقة بين التاريخ والفن على اضفاء قيمة جمالية على الحقيقة وعلى أن يجعلوا من الحوادث تاريخا • ان هذا الدافع لاضفاء قيمة جمالية على الحقيقة كان نفسه عنصرا أساسيا في فهم التاريخ الألماني حتى قبل ظهور الدعاية الهتلرية •

ويفسر « أندريه مروا » الدافع الجمالى أو الحافز الجمالى بحاجة الانسان الى قصص على شكل الحوادث ، « لأن حياتنا الحقيقية تمضى فى عالم غير منطقي ، ونحن نشترك الى عالم خاضع لقوانين الروح ، عالم منظم . وفى الرواية نجد هذا العالم الذى نسعى اليه ، حيث نستطيع أن نسعى الى عواطف بدون أن نعارض أنفسنا بنتائج العواطف الحقيقية . وهذا ما هدف اليه المذهب الجمالى فى ألمانيا ، لقد أصبح واضحا أن الألمان يحتاجون الى حقيقة جمالية لأنهم شعروا أنهم يعيشون فى عالم غير متجانس المنطق ، عالم لم يكونوا فيه متأكدين من تميز شخصيتهم القومية . ومن ثم لم يكونوا متأكدين من تميز شخصيتهم العامة الفردية ، وأنهم كانوا باختصار يشعرون أنهم مفتوحون للهجوم . هذا التعرض للهجوم عليهم معبر عنه فى التاريخ الألمانى بالخوف من جبهة سامية معادية ، ومعبر عنه فى الفن الشعبى بصورة المملكة الاقطاعية الواقعة تحت الحصار المستمر . والعلاقة الخاصة لهذا التعبير فى صورته المختلفة والمستفيضة كانت كما يقول « مروا » محاولة السعى الى عواطف بدون أن نعارض النفس بنتائج العواطف الحقيقية ، وفى هذا يجد المرء المعنى الأساسى وطبيعة الدعاية الألمانية النازية .

الصحافة مصدر للتاريخ :

بعد استعراض هذه الأبعاد الأربعة وهى البعد الفلسفى . والبعد الاجتماعى ، والتاريخ باعتباره مادة صحفية والصحيفة باعتبارها مادة تاريخية يبدأ السؤال التقليدى وهو ما أهمية الصحف باعتبارها مصدرا للتاريخ ؟ ، ولقد ردد الدكتوران ابراهيم امام وأحمد بدر بحماس وتأكيد قول الدكتور « جلبرت » ، أستاذ التاريخ اليونانى بجامعة اكسفورد فى منتصف القرن العشرين الميلادى حين قال : لو كان لليونان صحف ، ولو أن صحيفة واحدة أو حتى صفحة واحدة من صحيفة وصلت الى أيدينا لكانت معرفتنا بالتاريخ اليونانى أكثر حيوية

وأعظم مما هي عليه الآن • وهو قول يؤكد أهمية الصحيفة كمصدر للتاريخ بصفة عامة ، ولكن التفاصيل لا تجعل الصحيفة مصدرا سهلا من مصادر التاريخ ، وانما تجعله مصدرا يحتاج الى مهارة وجهد ومعرفة مسبقة بأحداث العصر وبطبيعة النشر الصحفى • فقد لا نجد الحدث التاريخى فى الصحيفة ، وليس معنى ذلك عدم وقوعه أو قلة تأثيره ، ولكن علينا أن نبحث عن علة عدم نشره ، لقد مس الأستاذ رشدى صالح (٣) هذه النقطة من زاوية الصلة الجبرية بين ما تقوله الصحيفة وما يصنعه الناس فى حياتهم ، وهو يفسر ذلك بأن الصحيفة اليومية من حيث الشكل والمحتوى هى احدى الوثائق المطبوعة للتاريخ الجارى • ومعنى ذلك أنها وثيقة ليوم أو بعض يوم مما يجرى فى حياة القراء ، واليوم لحظة من الزمن ستصبح ماضيا حين تأتى اللحظة الثانية ، وهو بذلك يرى أن مادة هذه الوثيقة تتغير تغيرا جبريا تفرضه مواكبة الصحيفة لأحداث الأيام • • أى أن هناك صلة جبرية بين ما تقوله الصحيفة ، وما يصنعه الناس فى تاريخهم اليومى ، لكن هذه الصلة الجبرية يقابلها مدى الحرية التى تمارسها الصحيفة فى اختيار مادتها ، فليس كل ما يقع فى التاريخ الجارى يظهر مطبوعا فى أعمدة الصحف فقد يكون هناك من الاعتبارات الخاصة لسياسة الصحيفة أو لمصالحها الاعلانية ما يمنع من نشر هذه الأخبار أو الأحداث أو الآراء ، وقد تواجه الصحيفة من الاعتبارات الخارجة عن ارادتها ما يضيق مجال اختيارها لهذه الأخبار أو الأحداث •

ان غيبة النشر معروفة أسبابه فى الرقابة على الصحف وفى الأزمات السياسية أو الحزبية • ولكن ظروف ملكية الصحف فى العالم الثالث ووجود الرقابة الذاتية مع عدم الاعلان عن الرقابة الرسمية فى كثير من الأحيان يجعل البحث التاريخى فى أسباب عدم النشر أكثر صعوبة •

واذا كانت غيبة النشر تمثل مشكلة للمؤرخ ، فان مشكلة الشائعات تسبب البلبلة ، ولقد أبرز البعد الاجتماعى مشكلة تفسير المجتمع لنفسه

بنفسه وهو ما تفعله الصحف في كافة المجتمعات كل يوم ، وعندما تحاول الصحف أن تفسر مجتمعا آخر فيما تتناوله من أخبار خارجية ومن موضوعات صحفية أجنبية فإنها ترى بعيونها هي وليس بالعين الوطنية لتلك المجتمعات • ومن ثم لا فكاك للمؤرخ من مشكلة الشائبات •

تنقية الشائبات :

ان الصحف ليست المصدر الوحيد للتاريخ • ولكنها مصدر حيوى من مصادره ، وتنقية الشائبات هي مهمة المؤرخ في كافة مصادره • ولقد أثار توفيق الحكيم ^(٤) بأسلوبه المتميز هذه القضية في حوار بين « العصا » و « البيرية » و « الحمار » ، فقالت العصا : هل المعول عليه في كتابة التاريخ هي الوثائق الصماء أو شهادة الأحياء ؟ فقالت البيرية : وما هي الوثائق الصماء ؟ انها شهادة الأحياء في عصرها • الا اذا كان المقصود هو كتابة تاريخ معاصر ، لم يزل شهوده على قيد الحياة عند تدوينه ، فمثلا عند كتابة ثورة قديمة مثل الثورة العرابية لا يمكن أن يوجد أحد من الأحياء اليوم قد عاصرها ، فليس من وسيلة لمعرفة ما حدث فيها الا الرجوع الى تلك الوثائق الصماء أى المدونات والكتابات ، أى شهادات مدونة لمن كانوا أحياء في وقتها • قالت العصا : وما القول اذا كان المطلوب كتابة تاريخ فترة لم يزل شهودها من الأحياء ؟ فقالت البيرية : في هذه الحالة يكون من الواجب الاستماع الى شهادة الأحياء الى جانب الاطلاع على الوثائق الصماء ، ولكن قبل كل شيء لابد من تحديد القائم بعملية التدوين ، هل هي الدولة أو الأفراد • اذا كانت هي الدولة فان الدولة لا تقوم بوظيفة المؤرخ ، ولكنها تتيح للمؤرخ أن يؤلف بأن تضع تحت يديه ما لديها من وثائق رسمية صماء وعليه هو أن يستخرج منها الحقائق مستعينا في ذلك بشهادة المعاصرين ومعايناته الشخصية كما فعل أمثال « ابن اياس » و « الجبرتي » •

فقال الحمار : اذن الدولة لا تكتب التاريخ حتى وان استعانت في ذلك بمؤرخين ، فقالت البيرية : استعانت الدولة بمؤرخين أو تأليف المؤرخين في ظل الدولة يذكرنا بما كتبه المؤرخون في روما عن « كليوباترة » التي كانت روما تعتبرها العدو الذي اختطف حكامها « بوليوس قيصر » و « مارك أنطونيوس » ، ولذلك أشبعها مؤرخو روما في ذلك العهد تجريحا وتشهيرا ، وصوروا في صورة العاهرة الشرقية الفاجرة ، ثم أنصفها بعد ذلك المؤرخ الاغريقى « بلوتاركس » . باظهارها في صورة أخرى . ولذلك ليس للدولة أن تكتب هي التاريخ ، حتى وان كلفت في كتابته أنزه المؤرخين ، ولكن عليها أن تصدر الوثائق الرسمية التي يستمد منها المؤرخون ما شاءوا وتحت مسؤولياتهم الشخصية .

فقال الحمار : وهل هذا يحقق صدق التاريخ ؟ أو أنه يساعد على اضطرابه وخطئه وتعدد صورته تبعا لتعدد المتناولين له من المؤرخين المختلفين في نظراتهم واتجاهاتهم ؟ فقالت العصا : فعلا هذا لا يحقق صدق التاريخ ، ولكنه يحقق ابراء الدولة من تهمة استخدام سلطتها في كتابة تاريخ قد يوصف بأنه مفروض أو موجه .

فقال الحمار : يعنى على أى وضع كتابة التاريخ لا تسلم من المخاطرة ، فقالت العصا : نعم ، لأن التاريخ شهادة كشهادة الشهود في أى قضية أو حادثة . اقرأ أى محضر جلسة في محكمة من المحاكم تجد الشهود قلما تتفق تماما في النص الواحد على صورة واحدة من صور الوقائع . . وان هى فعلت بهذه الدقة الحرفية شك القاضى في الشهادة ، وخشى أن تكون ملفقة أو مرتبة ترتيبا ذكيا ماهرا لا يعكس الحقيقة تماما . فقال الحمار : وكيف نعرف الحقيقة اذن والصدق في التاريخ ؟ فقالت العصا : الله أعلم . . وقالت البيرية : — نعم — الله أعلم — ولكن على قدر اجتهادنا نحن البشر فان استخلاص الصدق أو الحقيقة قد نصل اليه عن طريق مناقشة الشهادات ومواجهة

بعضها بعضا والمقارنة بينها ووزنها كما توزن الدنانير الذهبية لنعرف ثقل كل منها ، لنخرج من كل هذا الفحص بما هو أقرب الى التصديق .
فقال الحمار : أظن هذه هي وسيلتنا المتاحة لنا . . أما اذا لم نجد أمامنا سوى مؤرخ واحد أو شاهد واحد يروى لنا قصة واحدة بصورة واحدة ، فليس لنا اذن أن نقارن أو نزن أو حتى نفكر . فقد تجمدت عقولنا على هذه الصورة وعندئذ نحن وحظنا ، اذا كانت صادقة فالحمد لله ، أما اذا كانت زائفة فانا لله وانا اليه راجعون .

لقد فجر توفيق الحكيم في حوار فرسانه الثلاثة « العصا » ، و « البيريه » و « الحمار » أزمة الصوت الواحد في رواية التاريخ ، فاذا كانت الصحف في مجتمع لا تتحدث الا بلسان واحد فانها كمصدر للتاريخ تعد رواية واحدة وصوتا واحدا تنطبق عليه مخاطر الرواية من طرف واحد ، فالمشكلة اذن ترتبط بمدى الحرية المكفولة للصحف في المجتمع ليطمئن المؤرخ الى الرواية من مصادر متعددة وليس من مصدر واحد رسمي .

المشكلة الأولى اذن فيما يتعلق باعتماد المؤرخ على الصحف كمصدر للتاريخ هي مشكلة الحرية ، ثم تأتي المشكلة الفنية المرتبطة بطبيعة العمل الصحفي نفسه ، وقد أكد الدكتور حسنين عبد القادر (٥) أن أهم هذه المحاذير أو المشاكل عندما تعرض للعلاقة بين الصحافة والتاريخ هي خيال الصحفي . فخيال الصحفي يلعب أحيانا دورا كبيرا في سرد الأخبار فيصفها بألوان زاهية ويبالغ في وصف الأحداث ويضيف من عنده أشياء لا تمت الى الحقيقة بسبب ، وهذا كله بغية جذب أنظار القراء واثارتهم لقراءة الخبر والتعليق بالصحيفة ، ومن ثم ضمان رواجها والحصول على أكبر ربح ممكن ، وهذا النوع من الأخبار هو ما يسمى بالأخبار الملونة .

وعندما يعقد مقارنة بين التاريخ والصحافة يقول ان الصفات الواجب توافرها في المؤرخ والصحفي واحدة ، ويكاد يكون النهج الذي

يسير عليه كل منهما في كتاباته وبحثه ونقده واحدا مع اختلاف يسير في الحالين • وربما كان سر الاختلاف بين الاثنين في الصفات والنهج الى عامل الزمان ، فالمؤرخ يعمل في دائرة الماضي فحسب ، بينما يعمل الصحفي في دائرة الحاضر والمستقبل ، بل انه يتجاوزهما أحيانا ويعمل كمؤرخ في دائرة الماضي • ويتحكم عامل الزمان أيضا من وجهة أخرى في عمل الاثنين ، فالمؤرخ متحرر في عمله من كل القيود والأغلال ، فلديه ما يشاء من الوقت لانجاز عمله على الوجه الذى يبتغيه ، فليس المؤرخ مطالب بالانتهاء من عمله في يوم محدد أو ساعة محددة ، أما الصحفي فانه يتحكم فيه عنصر الزمان تحكما شديدا ، فأمامه ساعات فقط لانجاز عمله اذا كان يعمل في صحيفة يومية وأمامه أيام محدودة اذا كان يعمل في صحيفة أسبوعية ، وهذه السرعة التى تتسم بها أعمال الصحفي — خصوصا الذى يعمل في الصحافة اليومية — قد تجعل انتاجه فجأ أو ضحلا أو ناقصا في أغلب الأحوال ، بينما يتصف التاريخ عادة بالنضوج والعمق والاكتمال والتمام ، والصحفى معذور لأنه مطالب بتقديم انتاجه في ساعة معينة حتى يلحق المطبعة وتظهر الصحيفة في موعدها المحدد •

وبرغم التحفظات التى تحيط بالصحف كمصدر للتاريخ ، وهى تحفظات تتعلق بالشائبات في الرواية تبقى حقيقة لا خلاف عليها وهى أن الصحف تقدم لنا نظرة شاملة للحياة ، وهذه النظرة ضرورية للمؤرخ حتى لكأنه عاش العصر الذى يكتب عنه من خلال قراءاته لصفحه • وهذه النظرة الشاملة برغم كل ما فيها وما عليها تجعل الصحف مصدرا متفردا من مصادر التاريخ •

الهوامش

(١) طه حسين : الأيام ، الجزء الثالث ، دار المعارف ، ١٩٧٢ ، ص ١٤٩ .

(٢) Bill. Kinser and Neil Klevman (James E. Combs and Michael w. Mansfelid — Drama In Life. The uses of communication in society. Hastings Hanse Publishers. New York, 1979, P. 388 - 409.

(٣) جلال الدين الحماصي : الصحيفة المثالية ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧٢ ، صفحة ١٩٥ ، ١٩٦ (ملاحظة : بعض صفحات هذا الكتاب بقلم أساتذة آخرين أشار المؤلف اليهم وخصهم بذلك) .

(٤) توفيق الحكيم : كتابة التاريخ ، جريدة الاهرام ، بتاريخ ١٩٧٦/٥/٢٢ .

(٥) د. حسنين عبد القادر ، الصحافة كمصدر للتاريخ ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٠ ، ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٥ .

الفصل الثاني

بين القصة الأدبية والقصة الخبرية

١ - مدخل :

نختار من عالم القصة الواسع القصة القصيرة (short story) على وجه الخصوص . ونختار من عالم الخبر المتعدد القصة الخبرية (News story) على وجه التحديد ^(١) . ونرى بينهما علاقة النسب التاريخي ، ثم علاقة التأثير والتأثر ، ثم وجوه المقارنة المفصلة . وعلى ضوء ذلك كله نحاول أن ندخل القصة الخبرية من أبواب النقد فتحظى بما حظيت به القصة الأدبية من عناية في التقنين والتمحيص .

٢ - تعريف القصتين :

ما أكثر تعريفات القصة القصيرة في كتب الأدب والنقد . . وما أكثر تعريفات الخبر في كتب الصحافة والاعلام . ولكننا نختار من عشرات التعريفات تعريفا واحدا للقصة القصيرة هو - في رأينا - أحكمها وأكثرها احاطة بما سبقه . انه تعريف الدكتور الطاهر مكي ^(٢) ونصه ، بل وشكل كتابته يبدى شدة وضوحه . وهو يقول ان القصة :

٢ - ١ * حكاية أدبية

* تدرك لتقص

* قصيرة نسبيا

* ذات خطة بسيطة

* وحدث محدد

* حول جانب من الحياة

- * لا في واقعها العادى والمنطقى •
- * وانما طبقا لنظرة مثالية ورمزية •
- * لا تنمى أحداثا وبنيات وشخوصا •
- * وانما توجز في لحظة واحدة ، حدثا ذا معنى كبير •

٢ — ٢ هذا هو التعريف الذى نختاره للقصة القصيرة • ونختار لتعريف القصة الخبرية التعريف الذى يرى أنها قالب فنى لصياغة الخبر ، مثل قالب السرد أو قالب الحديث المنقول أو ما شابه ذلك • وقالب القصة الخبرية هو (شكل الهرم المقلوب) ، بمعنى أن الصحفى يأتى بالفكرة الرئيسية أو ما يسمى بالصدر The Lead أولا ، ثم يأتى بالتفاصيل أو الجسم The body بعد ذلك (٢) •

٣ — الجنور التاريخية للقصتين :

٣ — ١ — في فجر البشرية :

٣ — ١ — ١ لا شك أن القصة القصيرة في الأدب ، والقصة الخبرية في الاعلام ، تنبعان من مصدر تاريخى واحد • وفى لسان العرب لابن منظور نجد (القصة : الخبر وهو القصص • وقص على خبره يقصه قصا قصصا : أورده • والقصص : الخبر المقصوص) وأول قصة في تاريخ البشرية وهى قصة قتل قابيل أخيه هابيل تعد قصة قصيرة وقصة خبرية في التلقى البشرى • وهذه القصة تلبى نزوع الانسان — منذ أسكنه الله الأرض الى يومنا هذا • • والى كل يوم جديد — للقصص • ان مراقبة تجمع الناس في عواصمنا العربية ، في العقد قبل الأخير من القرن العشرين الميلادى ، أمام أجهزة التلفزيون كل ليلة لمشاهدة المسلسلات التلفزيونية يردنا مباشرة الى شاعر الربابة في القرن التاسع عشر الميلادى ، والى ما قبله من حلقات القصاصين • انها في جملتها تلبى نزوعا انسانيا للقصص •

٣ — ١ — ٢ بل ان هذا الميل الحديث لدى الناس الى الحوار المنمق ، والى الأمور المتجافية مع العقل في بعض الأحيان ، يذكرنا بالميل القديم الى الأساطير والسحر والخرافات • وهى فى جملتها تلبية للنزوع الانسانى للقصص •

٣ — ١ — ٣ والقصة الأدبية وان كانت أحدث الأجناس الأدبية ظهورا ، فهى أعرق ألوان الأدب تاريخا • هكذا يقول النقاد (٤) • وهم يعلنون ذلك بأنه منذ جاء الانسان الى الحياة كان الطفل يقفز ويضرب ، يعمل ويغنى ، يتحدث ويخترع ، ويحكى فى الوقت نفسه • وتجذب الجدة حفيدها بالحكاية ، أو ترعبه بالأسطورة ، ويلقى الانسان آخر ، بعيدا عن شواغل الحياة والعيش ، فيملأ فراغها بسمر تلعب فيه الحكاية دورا ملحوظا • خرافة تمثل خوارق الطبيعة ، أو مجونا يثير عواطف السامع ، أو سخرية تبعث على الضحك ، أو شيئا يهدف الى الموعظة والتربية • وكان القصص على لسان الحيوان من أقدم ما عرف الأدب •

٣ — ١ — ٤ وفى مقابل رأى النقاد عن فجر القصة بشريا يذهب أساتذة الاعلام (٥) الى القول بأن الشائعة هى أول أشكال الاعلام القديم • والأخبار فى فجر البشرية تتحور وتتضخم وهى تنتقل من الفم الى الأذن ، بل ان هذه الأخبار يعتريها التغير والتشويه بحيث تضع حقيقتها فى أحيان كثيرة • وأساتذة الاعلام يتساءلون فى حيرة : أين الواقع وأين الخيال فى نصوص الاعلام القديم ؟ بل يقولون : اننا حين نقرأ (هيرودوت) — أول من كتب التاريخ — لا ندرك ان كان يكتب تاريخا أو أسطورة ! •

٣ — ١ — ٥ ولا ينكر باحث العلاقة بين الأسطورة (٦) أو الخرافة وبين ما وصلنا من نصوص اخبارية قديمة أو نصوص أدبية قديمة • ولكنى لا أتفق مع ما ذهب اليه معظم أساتذة الاعلام بأن الشائعة هى أول أشكال الاعلام القديم • وحجتى فى ذلك تنبع من تصورى للمجتمع البدائى بأنه كان شديد البساطة والوضوح • والشائعة مفهوم

مركب ومعقد لرواية خبر أو موقف • ولم يكن المجتمع البدائي قد وصل الى قدر من التركيب والتعقيد يجعل الشائعة هي أول أشكال الاعلام في تاريخه • الأسطورة نعم ، لأنها حكاية خيالية ، ومحاولة تفسير لوقائع الحياة • لقد علقنا الأسطورة أو الخرافة برواية الخبر البدائي ، وكانت بعض الأخبار البدائية قصصا • وسنجد في سياق النسب التاريخي بين القصة الأدبية والقصة الخبرية أنهما ظلا توأمين في رحم واحد ، حتى شب كل منهما عن الطوق ، وأصبح لكل منهما عالم خاص ، وكان ذلك في القرن التاسع عشر الميلادي •

٣ - ٢ - في الحضارات القديمة :

٣ - ٢ - ١ عندما تذكر الحضارات القديمة في القصص تذكر الحضارة الهندية القديمة ، والحضارة المصرية القديمة • وكانت الدراسات الأدبية الأوروبية حتى أواخر القرن التاسع عشر ، التي تتبع نشأة القصة في ألوانها المختلفة تجعل من الهند وحدها مصدر هذا القصص • ومع بداية القرن العشرين اكتشفت صفحات من القصة المصرية الفرعونية مما جعل العالم الفرنسي « جاستون ماسبيرو » (١٨٤٦ - ١٩١٦) يقول ان القصص المصري الذي وجد في أوراق البردي يعود الى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد • وأنه ليس للهند قصص يقرب من ذلك التاريخ • ومن ثم يقرر بأن القصص المصري هو أقدم ما نعرف - حتى الآن - من الأدب العالمي في القصة • ويرى المستشرق البريطاني (ريتشارد برتون) (١٨٢١ - ١٨٩٠) الذي ترجم كتاب ألف ليلة وليلة الى اللغة الانجليزية ان القصص الوعظي موطنه بلاد النيل • ومنها انتقل الى الشام وآسيا الصغرى ثم اجتاز البحر الى اليونان •

٣ - ٢ - ٢ وفي مجال الخبر ، كانت الحضارات القديمة طورا متقدما لنقل الخبر البدائي ، أو بمعنى أدق أخبار المجتمعات البدائية • فبعد أخبار الصيد أو اغارة قبيلة على أخرى أصبحت أوامر الملوك ،

وطرق جباية الضرائب ، واعلان القوانين ، هي صور الأخبار المعاصرة في الحضارات الفرعونية والآشورية والبابلية والصينية القديمة ، وغيرها من الحضارات القديمة . وفي الحضارة الاغريقية ^(٧) أصبح الخبر يحمل الى جانب ما سبق الأخبار الرياضية وأخبار المسرح . وفي روما كان القيصر يأمر بنشر الأخبار اليومية بما فيها أخبار الفضائح والجرائم ليشغل الناس عن فساد الحكم .

ومن حيث الشكل أصبح الخبر في الحضارات القديمة مكتوبا بعد أن كان قاصرا على المشافهة ، فعلى جدران المعابد وفي الميادين سجل الملوك أوامرهم ومراسيم القوانين ، ليعرفها الناس ، ويعملوا بها . كما سجلوا أخبار المعارك الحربية التي خاضتها جيوشهم .

٣ - ٣ - في الجاهلية :

٣ - ٣ - ١ ولقد شاع القصص عند العرب في الجاهلية . وكان المحور الذي تدور حوله قصصهم هي الحروب التي تسمى أيام العرب . كيوم « داحس والغبراء » ويوم « الفجار » ويوم « كلاب » ويوم « ذي قار » . هذا الى جانب أخبار الحب والهوى ، ثم أخبار السحر والكهانة ، وحكايات الجن التي تمثل أساطير العرب وخرافاتهم . وهكذا يجتمع في القصة الجاهلية علاقتها الوثيقة بالقصة الخبرية في رواية الوقائع الحربية ، ثم علاقتها بالأساطير والخرافات في أخبار الجن والسحر والكهانة . وكانت أمثال العرب جملا مكثفة تلخص قصة أو واقعة فصارت مثلا ^(٨) .

وكان للقصة في الجاهلية وظيفة التوجيه المعنوي الذي يقوم به الاعلام الحربى في عصرنا الحالى . فقد كان القصاص في الجاهلية يصحبون المقاتلين ، يحرضونهم على القتال ويحمسونهم . وقد اسنمر بعضهم في ذلك بعد الاسلام وان اختلف المضمون بطبيعة الحال . وذكر أن سعد بن أبى وقاص قائد القادسية جعل ثلاثة من اعلام القصاص هم عمرو بن معد يكرب ، وقيس بن هيرة ، وشرحبيل بن

السمط يثيرون عزائم الجند قبل لقاء القادسية • وقد استفاد المخرج صلاح أبو سيف بهذا استفادة بارعة في فيلم (القادسية) (١٩٨٠) وطوع مشهد القصاص وهم يحمسون الجند للغة السينما المعاصرة تطويعا معبرا ناجحا •

٣ — ٣ — ٢ واذا تحدثنا عن الخبر بمفهومه الصحفى فى الجاهلية نجد أن مكة كانت محطة أخبار • وكانت رحلتا الشتاء والصيف فرصتين لتداول الخبر ، وكانت أسواق العرب فى الجاهلية من مصادر الأخبار • ولم يكن الخبر قائما على المشافهة وحسب ، بل ان العقود الهامة أو المواثيق كانت تكتب • ومثال ذلك حلف الفضول فى الجاهلية الذى تعاهد فيه أهل مكة على نصره الضعيف ورد الحقوق الى أصحابها ومما شابه ذلك • وهذا الحلف الذى قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الاسلام انه لو دعى لمثله فى الاسلام لأجاب • ومن الروايات المشهورة فى تاريخ العرب الأدبى المعلقة • تلك القصائد البارعة التى يقولون أنها كانت تعلق فى أستار الكعبة • والواقع أن نظرنا الى أهمية الكعبة فى الجاهلية من الناحية الخبرية هى أنها كانت نقطة التجمع المركزى للعرب • فقد كان الطواف حولها قائما قبل الاسلام • وكانت أندية قريش حولها • وكانوا يعلقون فى داخلها أغلظ مواثيقهم ، ويعلقون فى أستارها أبرع قصائدهم •

٣ — ٤ — عند ظهور الاسلام وفى الدولة الاسلامية :

٣ — ٤ — ١ وبظهور الاسلام ، ونزول القرآن لفت القصص القرآنى قلوب وأسماع وأبصار السامعين • شأن القصص القرآنى فى ذلك شأن سائر آيات الوعيد أو التبشير أو التدبر شأن القرآن كله • ويحدثنا التاريخ عن رد الفعل الأول لدى الجبهة الرافضة للاسلام — فيما يتعلق بالقصص القرآنى — فى صورتين ، الصورة الأولى جلوس بعض كبار المشركين من القصاصين مثل النضر بن الحارث عقب قيام الرسول صلى الله عليه وسلم من مجلس يذكر فيه الله ويحدث

قومه بالقرآن • يشوش على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم •
ويقول : هلموا يا معشر قريش أحدثكم بأحسن من حديثه • ثم يحدثهم
أقاصيص فارسية عن رستم واسفنديار وما شابه ذلك • والصورة
الثانية ادعاء أهل الكتاب من اليهود بأن اختلافا في الأسماء أو التواريخ
أو محاولة التشكيك مثل السؤال عن أهل الكهف وعددهم وعدد سنوات
مكوثهم في الكهف • برغم أن قصة أهل الكهف ليست واردة في التوراة •
بل ولا في الانجيل • فهي ترجع الى عهد لاحق لعصر المسيح عليه
السلام • وهي من الموروث المسيحي ، ولكن اليهود أرادوا بحض قريش
على سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن فتية ذهبوا في الدهر الأول
ماذا كان أمرهم فان حديثهم عجب ؟ أرادوا الفتنة وسلوك سبل
التشكيك • وظل القصص القرآني ساحة للمفسرين والمجتهدين •
وما خلفته لنا كتب التفسير في ذلك يعبر عن التراث الذي يقول فيه
المنصفون أنه يحوى كنوزا من المعرفة ، ويحمل في الوقت نفسه شوائب
وعوالق سيئة •

٣ - ٤ - ٢ فلما جاء العصر الحديث منذ القرن العشرين الميلادى
برزت محاولات متعددة للاستفادة من قصص القرآن في البحوث
والدراسات • ثم في النصف الثانى من القرن نفسه أمكن للتلفزيون
والراديو أن يأخذ من هذا النبع الفياض الثرى مادة جذابة ومفيدة •
وفي هذا المجال المعاصر يستوقف الباحث في القصص القرآني محاولة
قام بها الدكتور محمد أحمد خلف الله في العقد الخامس من القرن
العشرين الميلادى باعداد بحث لدرس القصص القرآني على المنهج
الأدبى للحصول على درجة الدكتوراه في كلية الآداب من جامعة
القاهرة • ولكن الجامعة ممثلة في لجنة المناقشة رفضت ذلك البحث •
ثم نشر الباحث عمله في كتاب يحمل عنوان (الفن القصصى في القرآن
الكريم نشر لأول مرة عام ١٩٥٣ م •

٣ — ٤ — ٣ ولقد تصدى للرد على الباحث عالمون بالدين الاسلامى والتفسير والأدب وذهب بعضهم الى اثبات شبهة الكفر .
وانى لا أستطيع تأكيد الاتهام فلست ممن يتهمون بالكفر ، ولكن ممن يناقشون وينقدون البحث العلمى ، وينظرون فى منهج البحث .

٣ — ٤ — ٤ لقد أقام المؤلف بحثه على المسلمات التالية :

(أ) القرآن كتاب الله .

(ب) القرآن وهو كتاب الله فيه قصص .

(ج) القصص الوارد فى القرآن لا يفهم ولا يستقيم بغير المنهج الأدبى .

(د) المنهج الأدبى للقصص يتلخص فى حرية القاص فى عدم التقيد بالواقعة التاريخية ، بل وعدم التقيد بصدق الخبر .

٣ — ٤ — ٥ ولكى يثبت المؤلف صدق مسلماته ، أورد ادعاءات بعدم مطابقة بعض القصص القرآنى للتاريخ المعروف لدى أهل الكتب السابقين . ولم يورد الرد الاسلامى التقليدى عليها . فليس ذلك بطبيعة الحال فى صالح الحثيات التى يقيم عليها أحكامه فى البحث .

٣ — ٤ — ٦ والخطأ المنهجى فى هذا البحث يرتكز فى أن الباحث اعتمد على القرآن بوصفه كتاب الله ، ولم يعلن وصفا آخر للقرآن . وما دام الباحث يتخذ القرآن باعتباره كتاب الله مصدرا أن يسلم بوصف القرآن لنفسه بأنه صادق وأنه لا ريب فيه ، والا تناقض الباحث مع نفسه ، ومع المصدر الأول من مصادر بحثه . ثم الخطأ الثانى هو حبس نفسه داخل فكرة ثابتة متسلسلة ، وهى أنه لا يمكن فهم القصص القرآنى الا بالمنهج الأدبى . وبذلك أغلق الباحث الباب على نفسه داخل زنزانة . ولو أنه نظر الى لوحة « المونايزا » للفنان « ليوناردو دافنشى » لرأى أنها تتبسم له من زوايا متعددة ، وحيثما

وقف رأى بسمتها • كذلك فهم القصص القرآنى يمكن أن يكون بمناهج متعددة • دون المساس بالصدق المطلق الوارد فى القصص •

٣ — ٤ — ٧ ولقد ذهب مفسرون سابقون لعصرنا فى ذلك الى أبعد مما رأى الباحث الدكتور محمد أحمد خلف الله • ولكنهم تمسكوا بصدق النص فى روايته التاريخية وفى أخباره ووقائعه تمسكا كاملا • نأخذ مثلا قصة مشهورة فى التاريخ العربى هى قصة (الفيل) التى وقعت فى الجاهلية ، وأصبحت قصة مشهورة فى التاريخ الاسلامى عندما ورد ذكرها فى القرآن الكريم • ولقد استوقف تفسير محى الدين ابن عربى المفسر الصوفى لهذه القصة المتصوفين والباحثين بل وبعض المستشرقين (٩) •

ان قصة أصحاب الفيل روتها سورة من قصار السور فى القرآن الكريم هى سورة الفيل • تقول القصة ان الملك الحبشى «أبرهة الأشرم» عندما قاد جيشه ومعه الفيلة الى مكة لهدم الكعبة ، وصرف الحجاج عنها ، هوت الله عليه غرضه ، وأرسل جماعة من الطير فأغنت جيشه ، ملقية عليه حجارة من سجيل ، وجعلهم بذلك كعصف مأكول • ويفسر ذلك عادة بطاعون من الجدرى أرغم الملك «أبرهة» على الانسحاب •

وابن عربى يقول : قصة أصحاب الفيل مشهورة وواقعتهم كانت قريبة من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى احدى آيات قدرة الله وأثر من سخطه على من اجتراً عليه بهتك حرمة ، والهام الطيور والوحوش أقرب من الهام الانسان لكون نفوسهم ساذجة • وتأثير الأحجار بخاصية أودعها الله تعالى فيها ليس بمستنكر • ومن أطلع على عالم القدرة وكشف له حجاب الحكمة عرف أمثال هذه • ويعلق المستشرق أجنتس جولد تسهر قائلا :

« وقصة الفيل لا تقبل التأويل • ولكن ابن عربى يقابل الأحداث التاريخية بالحقائق العليا ، فيرى أن أبرهة هو النفس المظلمة التى (م ٣ — الصحافة بين التاريخ والادب)

قصدت الى تخريب كعبة القلب الذى هو بيت الله بالحقيقة • وأراد أن يصرف حجاج القوى الروحانية الى « قلوس » الطبيعة الجسمانية التى بناها وأراد تعظيمها • وهكذا يفسر ابن عربى تفصيل حملة أبرهة ، وتخيب أمله ، بأعمال نفسية أخلاقية : الطير ، الحجارة المرمية ، وكل ما الى ذلك من الظواهر المرافقة ، حتى الفيل لا يفلت من ذلك التأويل فهو شيطان الوهم » • وهذا الذى يسميه ابن عربى التطبيق أى المحاذاة أو الموازنة • هو أقرب ما يكون الى ما نسميه فى لغة النقد المعاصر المعادل الموضوعى •

ويستطرد المستشرق أجنثس جولد تسهر قائلا : « فى الأول يكشف التفسير الصوفى المعنى الحقيقى المحجوب تحت كلمات يبدو أنها غير ذات دلالة ، وفى الثانى يحتفظ المعنى اللفظى الظاهر بحقه الكامل • فإذا أخبرت عن المعجزات وجب الاعتقاد الحرفى بتحقيق هذه المعجزات ، وإذا قص أحداثا عن أشخاص أو أمم وجب اليقين بالحصول التاريخى لهذا القصص • والتفسير يضع هذه القصص على طريق الوعظ والتأثير الخطابى فحسب • وفى موازنة أحداث العالم الروحانى ، ويناسب بين هذه وتلك وهو التطبيق » •

٣ — ٤ — ٨ هكذا رأى ابن عربى فى النص القرآنى • الصدق الكامل فى الرواية وفى الخبر • وحرية الفهم لدى المتلقى • لا حرية الأديب فى عدم التطابق بين الواقعة التاريخية أو الخبر وبين النص • كما فهم الدكتور محمد أحمد خلف الله الذى قال : ان فهم القصص القرآنى فهما أدبيا يجنبنا ما أثير حول اختلاف بعض الوقائع التاريخية الواردة فى النص القرآنى عما ورد عند أهل الكتاب من اليهود • وكان رد عبد الكريم الخطيب عليه فى هذه النقطة انه مثل الدبة التى أرادت أن تجنب صاحبها ذبابة وقفت على وجهه وهو نائم ، فألقت عليها صخرة قبضت عليه • وعبد الكريم الخطيب ألف كتابا بعنوان (القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه) يعد ردا على كتاب الدكتور محمد أحمد

خلف الله • ولكن ينقصه بعض الجوانب المتعلقة بالرد على منهج البحث الذى استخدمه الدكتور محمد أحمد خلف الله •

٣ — ٤ — ٩ وعن القصص القرآنى يقول عبد الكريم الخطيب^(١٠) ان القصص أحد الأساليب التى حملها القرآن ليحاج بها الناس ، وليقطعهم عن الجدل والمماحكة شأنه فى هذا شأن ما جاء فى القرآن من أساليب الاستدلال والمناظرة ، والتعجيز ، والوعيد ، والتهديد •• وغيرها من المشاهد والمواقف المبثوثة فى القرآن • ويضيف محمدا (ليس القصص القرآنى الا القرآن الكريم فى صدقه المطلق) ويؤكد : لقد انخدع بعض الدارسين المحدثين بكلمة قصص التى جعلها القرآن عنوانا دالا على ما ذكر من سير الأولين وأخبار الغابرين ، فوقع لفهم هؤلاء أنهم قد يكونون من المجتهدين فى الاسلام أو المجددين فى الأدب اذ هم أخذوا القصص القرآنى بمعايير القصص الأدبى بما فيه من تلفيقات الوهم والخيال •• وقد جرهم هذا أو جرأهم على القول بأن القصص القرآنى ليس كله حقا وصدقا ، اذ ليس الحق والصدق من مقاصده ، وانما هو مسوق للاثارة الفنية التى تجىء من ورائها العبرة والعظة ، وأنه لا اثاره للفن اذا التزم حدود الحق والصدق •• اذ أن الفن فى صميمه حرية ، ولا حرية مع الزام والتزام • وقد اندفع أصحاب هذا رأى الى أبعد من هذا فقايسوا بين الله وبين الانسان ، فما الله فى حسابهم هنا الا فنان ينزل على حكم الضرورة والقصور ، فيسوى قصصه على نحو ما يسوى الفنانون قصصهم ، من مزجها الحقيقة بالخيال والواقع بالوهم والمحال • ثم يخلص الى القول بأن « القصص القرآنى هو أنباء وأحداث تاريخية ، لم تتلبس بشيء من الخيال ، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع • ومن هذا فقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من قصص ، من الاثارة والتشويق ، مع قيامه على الحقائق المطلقة ، الأمر الذى لا يصلح عليه القصص الأدبى بحال أبدا » ويقول : « هذا القصص الذى جاء به القرآن الكريم لم يكن تأريخا للحياة كلها وأحداثها ، وانما هو

عرض لبعض المواقف ، وكشف عن بعض الأحداث التى من شأنها أن تحدث فى النفس أثرا ، وتقيم فى الضمير وازعا وتفتح العقل والقلب على مواقع ماثلة للعبرة والعظة » .

٣ — ٤ — ٩ ولعل ما أثير حول القصص القرآنى فى بحث الدكتور محمد أحمد خلف الله وآزره فيه الأستاذ أمين الخولى • يعد امتدادا لما أثاره من قبل الدكتور طه حسين فى كتابه الشعر الجاهلى باستخدام منهج الشك الديكارتى والذى تبين للنقاد والباحثين فيما بعد أن المستشرق مرجليوث Marigoliouth قد سبق الدكتور طه فى الشك فى الشعر الجاهلى • وكتب الدكتور ما كتبه دون أن يذكر ذلك •

وقضية الشك فى الشعر الجاهلى قديمة فى تاريخ الدراسات العربية (١١) • ومن أبرز الدارسين العرب الذين تكلموا فيها محمد بن سلام الجمحى (١٣٩ — ٢٣١ هـ) • ثم فى القرن التاسع عشر (١٨٦٤م) تناول المستشرق (فولدكة) هذا الموضوع فأشار الى الشكوك التى يثيرها مظهر الشعر الجاهلى ولكن أهم المستشرقين بحثا فى هذا الموضوع مرجليوث Marigoliouth الذى نشر بحثه عام ١٩١٦ عن الشعر الجاهلى فى المجلة الآسيوية الملكية — بعنوان (The origins of Arabis Portry) ورجح فيه أن هذا الشعر الجاهلى انما تم نظمته وتأليفه فى العصور الاسلامية ودسه ونحله الوضاعون •

٣ — ٤ — ١٠ — وهذه المحاولات — فى رأى — هى انعكاس لانقيار العقل العربى المصرى عند اتصاله بالعقل الأوروبى فى النصف الأول من القرن العشرين الميلادى فيما يتعلق بحرية البحث • لقد استخدم كثير من الباحثين اصطلاح المنهج ، ومنهج البحث فى ذلك الوقت بنوع من الفرخ والانبهار كأنهم عثروا على كنز مدفون • ونظرا لحداثة عهدهم بهذه (اللعبة) الجديدة مناهج البحث ، وقعوا فى أخطاء فادحة وفق ما يقضى به البحث العلمى وما تحكم به مناهج البحث • وكان كتاب الدكتور محمد أحمد خلف الله صورة من هذه الصور •

٣ — ٤ — ١ — وللعقاد (١٢) رد بليخ في مثل هذا المجال ، يقول فيه أن مقاصد القصة في القرآن كثيرة تجمعها هذه المقاطع الثلاثة : فهي تساق للعبرة والموعظة ، أو تساق للقدوة وتثبيت العزيمة ، أو تساق للتعليم والهداية • ثم يقول : ان القصص القرآني تخذ من التاريخ ما فيه الغنى بكل سياق أو مقصد يعنى به الدين • فليس المقصود بها تفصيل التواريخ ولا تسجيل الوقائع والسنين • ثم يضيف قائلاً : ولكن الجانب التاريخي المحض من القصص الديني قد كان له درسه النافع للمتجولين من أدعياء — التحقيق العلمي — منذ أوائل القرن التاسع عشر ، لعلمهم لا يستغنون عنه بعد انتصاف القرن العشرين • فقد كان ورود الخبر في كتاب من كتب الدين كافياً عندهم للجزم باختلافه وحسابه في عداد الخرافات ، أو في عداد الخيالات الشعرية التي لم تحدث قط في غير أوهام الشعراء ، فلم تمض أيام على الشروع في حركة البحوث الحفرية حتى ثبتت علامات الصبغة التاريخية لكل خبر من أخبار تلك الحوادث المشكوك فيها • وثبت أن علماء التاريخ كانوا خلفاء أن يجهلوا شيئاً عن تلك الحوادث لو لم يعلموا بها من مصادرها الدينية قبل أن يتوافروا على حركة الحفر والتنقيب في آثار الشرق الأدنى وما جاور بلاد النهرين • ومن هذه الأخبار ما كانوا يقرأونه في الكتب ويمرون به على غير انتباه ، لأنهم لم يعرفوا له خطراً جديراً بالاهتمام في غير المصادر الدينية ، فشكوا في وجود « عاد » و « ثمود » وشكوا في حملة الفيل وهلاك أصحاب الفيل ، وشكوا في الزلازل والأعاصير والطوفانات والحروب التي سبقت مساق العبدة في قصص القرآن ، وانفرد بها أحياناً بين كتب الأديان ، فلما حققوا الآثار وصححو المراجعة تبين لهم أن عاداً وثموداً من أخبار بطليموس ، وأن هلاك أصحاب الفيل من تواريخ الحبش والروم ، وأن المدن التي ساخت بها الأرض أو عصفت بها الرياح حقيقة لا تقل عن حقائق « طيبة » « منف » و « طروادة » و « مسيني » ، وأن بقايا اللغة تقول لنا اليوم بعد المقارنة بين اللغات كل ما كذبوه من الأصول أو الصلات بين شعوب الأمم وأعراقه في أحاديث المتدينين ،

وأنهم في انكارهم وتحقيقتهم المزعوم قد أبدعوا لهذا العصر صورة جديدة من صور الخرافة لم تكن مقبولة عند المخرفين الأقدمين • وهى خرافة العالم الذى ينكر ما يجهل ويجهل ما ينكر ، ويظن أن كلمة (التحقيق) وحدها سلطة تخولهم دون غيرهم حق الاستئثار بالرفض والانكار •

٣ — ٤ — ١٢ — يذهب جمهور المؤرخين الى القول بأن أول من قص في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كان الصحابى اليمنى « تميم الدارى » الذى أسلم في العام التاسع من الهجرة ، وكانت له دراية من قبل بعلم أهل الكتاب فقد كان نصرانيا قبل اسلامه • وقد أراد أن يقص في عهد أبى بكر فلم يأذن له ، كما أبى عليه عمر بن الخطاب ذلك في أول الأمر ، ثم أذن له في آخر ولايته أن يذكر الناس في يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر الى المسجد • وفي خلافة عثمان استأذن « تميم » في القص في المسجد فأذن له عثمان بذلك •

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزة (١٣) ان صورة هذه القصص هى أن يجلس القاص في المسجد ، ويقص على الحاضرين حكايات وأساطير عن الأمم الأخرى ، لا يعتمد فيها على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب • والظاهر أن هذا القصص كان على نوعين : قصص للعامة ، وقصص للخاصة • فأما قصص العامة فهو الذى يجمع اليه نفوس أكثر الناس • وهذا النوع من القصص مكروه عند فقهاء المسلمين ، وأما قصص الخاصة فهو الذى اعتمد عليه أكثر الخلفاء الراشدين • فلما ولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة الأموية ولى رجلا من قبله على القصص • وانتشر القصص • ودخل عليه الكذب منذ خلافة على بن أبى طالب حتى اضطر الى طرد جميع المشتغلين بالقصص في المساجد ، واستثنى منهم « الحسن البصرى » لتحرية الصدق في القول • ولكن مما لا شك فيه أن القصص كان أكثر أسس الدعاية في عهد الفتن الاسلامية • ومع نظام الحكم الأموى أصبح القاض موظفا رسميا • وكان القاضى في بعض الأحيان يجمع القصص الى

جانب القضاء • بل ان الدكتور عبد اللطيف حمزة يشبه وظيفة القاض في ذلك العهد بوزير الاعلام والدعاية في عصرنا هذا • وهو يرى أنه عن طريق القصص دخلت على المسلمين أساطير من أهل الديانات الأخرى اليهودية والنصرانية ، وكان ذلك سببا من الأسباب التي كلفت رجال الحديث كثيرا من الجهود المضنية في التحري عن صدق الأحاديث النبوية • وبسبب القصص — كما يرى الدكتور عبد اللطيف حمزة (١٤) — امتلأت كتب التاريخ الاسلامي بكثير من الوقائع الزائفة والحوادث المختلفة ، وذلك منذ اعتمد المؤرخون المسلمون على مصدرين كبيرين هما « وهب بن منبه » « كعب الأحبار » • أما وهب بن منبه فهو يمني من أصل فارسي ، وكان من أهل الكتاب ، وله معرفة واسعة بقصص الأنبياء وأخبارهم • وأما « كعب الأحبار » فيهودي من اليمن أيضا وكان مصدرا لتسرب أخبار اليهود الى المسلمين ، وعن طريقه أيضا دخل في تفسير القرآن الكريم ما يعرف بالاسرائيليات • ويخلص الدكتور حمزة من هذا الى القول بأن القصص أفاد الملوك والسلاطين في الدعاية وأضر بنواح ثلاث هي : ناحية الحديث النبوي ، وناحية التاريخ الاسلامي ، وناحية الديانة الاسلامية نفسها عن طريق الاسرائيليات • هذا ما حدث في صدر الاسلام •

٣ — ٤ — ١٣ — ويكاد الاجماع ينعقد على أن أول من استعمل القصص بصفة رسمية هو معاوية بن أبي سفيان بعد أن آلت اليه الخلافة (١٥) • وكان تميم الداري أول من عينه معاوية لهذا العمل فتوسع فيه • كان يقص في المساجد اذا فرغ المصلون من صلاة الصبح • وفي أماكن تجمع الناس في غير أوقات الصلاة • وما لبث معاوية أن عهد الى القضاة في الأمصار بمهمة القصص • ويحقق الدكتور أحمد على المجذوب (١٦) هذه النقطة فيورد رواية الكندي في كتابه « القضاة » بأن كثيرا من القضاة كانوا يقومون بمهمة القصص الى جانب مهنة القضاء بأمر الحاكمين • وأن أول من قص بمصر سليمان بن عمر التيجي (سنة ٣٨ هجرية) • وقد ولاه معاوية أمر

القضاء الى جانب القصص • ثم لم يلبث أن عزله من القضاء وخصمه للقصص لا غير • ثم يورد الدكتور المجدوب رواية المقریزی بأن تولى القاضي للقصص لم يحدث الا في مصر • فلم يتم الجمع بين القضاء والقصص الا فيها • ويفسر المقریزی ذلك بأنه من المحتمل أن يكون نظاما من أنظمة الكنيسة المصرية • ويعلق الدكتور المجدوب على استخدام معاوية للقصص بأنه ادراك منه لأهمية عملهم ، وما لدورهم من أثر واضح يشبه الى حد كبير الأثر الذي تحدثه وسائل الاعلام من اذاعة وتليفزيون وصحف في الدول المعاصرة •

٣ — ٤ — ١٤ — وفي الدولة الأموية نشأ قصاصون آخرون ، يروون أخبار الأمم الماضية في القصور وعلى أسماع الخلفاء ، ومن هؤلاء عبيد بن شربة الجرهمي الذي قيل أنه روى أخبار الملوك العرب من لخم وفسان لمعاوية بن أبي سفيان الذي استحضره من صنعاء الى دمشق • وأن عبيد ظل في البلاط الأموي يقص الى أيام عبد الملك ابن مروان •

وفي الدولة العباسية اتسع نشاط القصاص ، وسمح لهم الخلفاء بالتجول في أرجاء الدولة وأصبح من يقرأ القرآن بالمسجد يقص أيضا • ويروي ابن عوف المتوفى عام ١٥١ هجرية أنه كان في مساجد البصرة حلقة واحدة لعلماء الفقه في حين كانت حلقات القصاصين لا تحصى ، حتى كانت المساجد مملوءة بهم •

٣ — ٤ — ١٥ — وفي بغداد ابتكر أحد القصاصين ، وهو موسى ابن سيار الاسواري ، طريقة جديدة في القصص ، فكان يجلس وعن يمينه العرب وعن يساره الفرس ، فيقص لهؤلاء بالفارسية ولأولئك بالعربية • وكان له قريب يدعى عمرو بن قائد كان قاضيا مثله ، وظل يقص ستا وثلاثين سنة ، وكلاهما عاش في القرن الثالث الهجري • ثم انتشر القصاص في آسيا الوسطى وفي غيرها من الأمصار • وكان أمر القصاص في الحجاز نادرا فيروي أن مالك بن أنس منعهم من دخول

مسجد الرسول في المدينة • وهاجم الامام أبو حنيفة القصاص في بغداد • وتروى واقعة للامام « أحمد بن حنبل » وليحيى بن معين — أحد علماء الحديث — ذات دلالة خطيرة لما بلغه زيف القصاص في ذلك الزمان • وذلك أنه بعد أن فرغ الامام أحمد بن حنبل وصاحبه يحيى بن معين من الصلاة بمسجد الرصافة في بغداد ، قام قاض فقال : عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا اله الا الله خلق الله من كل كلمة طيرا ، منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان ، ومضى يعدد أشياء غريبة وكائنات عجيبة يخلقها الله من كلمات لا اله الا الله • فجعل أحمد بن حنبل ينظر الى يحيى بن معين ، وهذا ينظر اليه • ثم سأله : أنت حدثته بهذا ؟ • قال : والله ما سمعت بهذا الا الساعة • فلما انتهى القاص أشار له يحيى فجاء متوهما أنه سيتمحه مالا ، فسأله يحيى : من حدثك بهذا ؟ قال : أحمد بن حنبل ويحيى بن معين • فقال له أنا يحيى وهذا أحمد ، فما سمعنا بهذا قط من حديث رسول الله ، فقال القاص : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل أحقن ، ما تحققت الا الساعة • فقال له يحيى : وكيف ؟ قال : كأنه ليس في الدنيا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما ؟ • لقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين • وانصرف الشيخان لأن سلطان القصاص كان خطيرا •

٣ — ٤ — ١٦ — وفي العصر العباسي كثر عدد القصاص واحتدم التنافس بينهم • وأخذ بعضهم يكيّد لبعض ، ويروى ابن عتية تأثيرهم على العامة فيقول : (كانوا يميلون وجوه العوام اليهم ، ويستدرون ما عندهم بالغريب والأكاذيب) • وبسبب استفحال أمر القصاص أصدر الخليفة العباسي عام ٢٧٩ هجرية أمرا بالألا يعقد في الطريق ولا في المسجد قاص ولا منجم ولا عراف • وفي القرن الرابع الهجري تطور أمر القصاص فأصبح حرفة شعبية • ويصف ابن الجوزي في القرن السادس الهجري ما وصل اليه أمر القصاص فيقول : « من القصاص من يخلط في مجلسه الرجال والنساء ، وترى النساء

يكثر الصياح وجدا على زعمهم ، فلا ينكر ذلك عليهن جمعا للقلوب عليه ، ولقد ظهر في زماننا هذا (زمان ابن الجوزي) من القصاص ما لا يدخل في التلبيس لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشا يستمنحون به الأمراء والظلمة ، والأخذ من أصحاب المكوس والتكسب به في البلدان • وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الأحبة فيبكي النسوة ولا يحث على الصبر » ويذكر ابن الجوزي أيضا ان القاص أصبح يأتي بحركات ايقاعية بأقدامه وبيديه وهو يقص في القرن السادس الهجري ، وأنه يستخدم الغناء » والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيده وايقاع برجليه فتنسبه السكر ، ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهيج النفوس ، وصياح الرجال والنساء ، وتمزيق الثياب من دفائن الهوى • • » • ويضيف بعض الباحثين بأنه في مرحلة تالية أضاف القصاص الى الايقاع أنغام آلة الربابة التي تصاحب غناءهم للقصص ، وهو ما ظل الى عهد قريب في الريف المصري • حيث كان الشاعر الشعبي يعزف على ربابته وهو يقص سيرة عنتره والزنانى خليفة والوزير سالم •

٣ — ٤ — ١٧ — والشعر العربى (١٧) لم يترك القصة ، فأسهم فيها بنصيب • وفي الشعر الجاهلى نجد بعضا منها في شعر امرئ القيس ، ثم شعر المنخل اليشكرى وغيرهما • ولكنها تبلغ أوجها عند عمر بن أبى ربيعة في العصر الأموى ويقول الدكتور الطاهر مكى (١٨) : كان عمر بن أبى ربيعة في مجتمع الحجاز صنو احسان عبد القدوس في مجتمع القاهرة ، أو المجتمع العربى بعامة ، ان شئت ، كلاهما وقع على خفايا المجتمع البرجوازي الذى ينتسب اليه وعاش فيه واتخذ من أسرار مائة لقصصه ، شعرا رقيقا عند الأول ونثرا أنيقا عند الثانى •

٣ — ٤ — ١٨ — والترجمة الى العربية لم تهمل القصة بل أسهمت فيها بنصيب وافر في العصر الأموى • وكتاب (كليله ودمنة) الذى ترجمه ابن المقفع من اللغة البهلوية الى العربية أكبر شاهد على دور الترجمة في تاريخ القصص العربى •

٣ — ٤ — ١٩ — ويستوقفنا في تاريخ القصة « الجاحظ » ، وترجع الأهمية الخاصة للجاحظ في بحثنا هذا الى قربيه الشديد من الأسلوب الصحفى ، والى قربيه الشديد من الرؤية الصحفية أو العين الصحفية . قدم لنا الجاحظ من خلال كتابه البخلاء مجموعة من الحكايات ، تدور حول هذا اللون من الأخلاق ، التقطها من المحيط الذى حوله في البصرة وخراسان ، في واقعية دقيقة ، يذكر الأسماء والأمكنة والظروف ، وأراد أن يكون في كتابه هذا ناقلا أكثر منه مبدعا ، ولو خلس للقصة لربما كان لنا معه (مولير) أو بلزاك آخر ، ومع هذا فقد دفع بالقصة العربية خطوة الى الأمام ، حين هبط بها الى واقع الحياة ، وجعل السخرية جزءا منها ، ومزج فيها بين المتعة والجمال والنقد (١٩) .

٣ — ٤ — ٢٠ — وثمة ظاهرة جدير بالانتباه في شأن القصة العربية في العصر العباسى ذلك أنها أصبحت في الكتب كالمالح في الطعام، فنراها في كتب الأدب والتاريخ والفقه والتفسير ، وفي كتب النحو والصرف والبلاغة .

٣ — ٤ — ٣١ — ولا تذكر القصة عند العرب الا وتذكر ألف ليلة وليلة . ذلك السفر القصصى الذى يسمى أصله الفارسى القديم بالألف حكاية ، وان كان الثابت أن أصول القصص هندية . وقام بكتابة أول مسودة له في العراق في القرن العاشر الميلادى (الجهشيارى) وقد أمدّه الأصل الفارسى بالفكرة العامة والشخصيات الرئيسية مثل (شهرزاد) ، ثم أصبح اسم الكتاب ألف ليلة ، ثم أضيف اليه وليلة . وخلال خمسة قرون أضيف للكتاب قصص من مصادر هندية ويونانية وعبرية ومصرية . وألف ليلة وليلة في شكله الأخير يعود الى القرن الخامس عشر الميلادى حيث نسقه ورتبه أحد اليهود المصريين الذى اعتنق الاسلام في القرن نفسه . ولقد ترجم هذا الكتاب في القرن الثامن عشر الميلادى الى معظم اللغات الأوروبية . وهو أشهر كتاب عربى في أوربا حتى اليوم .

٣ — ٤ — ٢٢ — وفي موازاة تاريخية تقريبا لنشأة ألف ليلة وليلة ظهرت في الكتابة العربية مقامات بديع الزمان الهمذاني (٢٠) المتوفى عام ١٠٠٨ ميلاديا • وان كان فن في المقامة يرجع الى ابن دريد المتوفى عام ٩٣٤ م في رأى بعض المؤرخين ولكن الهمذاني هو مشيد صرحها بلا منازع • وبطل مقامات الهمذاني يسمى أبو الفتح الاسكندري وراويها يسمى عيسى بن هشام • وبعد الهمذاني بأكثر من قرن جاء الحريري بمقامات تعرف باسمه ، بطلها (أبو زيد السروحي) •

من هذه الروايفد جميعها للقصة العربية ترجم ما ترجم الى اللغات الأوربية (٢١) ، وأسهم في بروز القصة الأوربية بمعناها المعاصر ، التي جاءت بعد ذلك الى العرب عبر أوربا من جديد •

٣ — ٤ — ٢٣ — وقبل الحديث عن القصة في العصور الحديثة نعود للخبر حيث وقفنا به عند ظهور الاسلام • وأول ما نجده في الصحبة التاريخية للخبر هو أن المسجد أصبح المركز الرئيسى للأخبار • ولأن الخبر ظاهرة اجتماعية يرتبط في مضمونه وفي وسائل نقله بتطور المجتمع لذلك نجد الحمام الزاجل ، وعمال الدولة يحملون الرسائل الاخبارية ، مع اتساع الدولة الاسلامية وامتداد أطرافها ، هذا الى جانب الوسائل التقليدية السابقة من قوافل تجارية وأسواق وغير ذلك •

٣ — ٥ — في العصور الحديثة :

٣ — ٥ — ١ — انتقلت القصة من العرب الى أسبانيا • ولقد ذهب كثير من الباحثين الى تأثر « دانتي » برسالة الغفران لأبى العلاء المعرى والى تأثر كتاب القصة الأوربيين بقصة (حى بن يقظان) لابن طفيل • واذا انتقلنا مع القصة من أسبانيا الى ايطاليا ، نجد تاريخ الأدب الأوربى يحدثنا بأن القرن الرابع عشر الميلادى شهد في (روما) ما يعده المؤرخون والنقاد (٢٢) محاولات انشاء القصص القصيرة • تلك التى كانت قصصا قصيرة من حيث الحجم لا من حيث

الخصائص التي تميزت بها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، باعتبارها لونا مميزا من ألوان الأدب الحديث . كانت محاولات انشاء القصة القصيرة في قاعة فسيحة من قاعات قصر الفاتيكان . في تلك القاعة التي أطلق عليها فيما بعد مصنع الأكاذيب اعتاد نفر من سكرتيري (البابا) التردد عليها في المساء للتسلية والسمر وتبادل الأخبار . وفي هذا المجلس كانت تقص النوادر ، بل وتؤلف عن رجال ونساء ايطاليا ، بل وعن البابا نفسه ، وقد دفع ذلك الكثيرين الى التردد على هذا المجلس حتى لا يغتابوا أو يصبحوا موضع سخرية في غيبتهم . وخلف التاريخ من مصنع الأكاذيب هذا مجموعة قصصية ذات شكل أدبي أطلق عليها مؤلفها اسم (الفاشيتيا) (٢٣) Facetia وكان المؤلف واسمه (بوتشيو) Poggio شخصا غريب الأطوار خصب الخيال . اشتغل نصف حياته سكرتيرا للبابا . ثم تزوج وهو في السبعين من عمره فتاة في الخامسة عشرة . وبدأ بهذا الزواج حياته الأدبية فدون النوادر التي قصها والتي سمعها في القاعة التي سميت مصنع الأكاذيب ثم جمعها في كتابه (الفاشيتيا) الذي تداولته الأجيال من بعده .

٣ — ٥ — ٢ — وكما كان الحريري خطوة بعد الهمذاني في المقامات ، ولو من الناحية التاريخية على الأقل ، فان بوكاتشيو Boccaccio الايطالي الأب والفرنسي الأم يعد خطوة بعد (بوتشيو) . وان كان كلاهما ينتمي الى القرن الرابع عشر الميلادي . وحكايات (بوكاتشيو) التي جمعها في كتاب اسمه (الديكاميون) حاويا مائة قصة (٢٤) أسندها الى سبع سيدات وثلاثة رجال ، تخيل أنهم يفروا من مدينتهم (فلورنسا) الى قصر أحدهم في الريف هربا من طاعون اجتاح المدينة ، ورغبة منهم في نسيان مشاهد الموت من الوباء أخذوا يقصون الحكايات . على كل واحد أن يقص قصة في كل ليلة ، فأصبح لديهم في عشر ليال مائة قصة .

وكان (بوكاتشيو) يروي في قصصه خبرا معيننا يبرزه ويفصله

ليجذب انتباه القارئ • ولقد بلغت عنايته بالخبر بأن أنشأ قصة تدور حول أهمية العناية برواية الخبر ، فذهب الى أن سيدة من روما كانت تنتقل من بلد الى آخر سيرا على الأقدام ، فأراد صاحب لها تسليتها بأن يروي لها قصصا أثناء السير • وقال لها أنه سيقص عليها قصة طريفة فلا تشعر بمتاعب السير وتحس وكأنها تمتطي صهوة جواد • فلما بدأ القص كانت القصة شائقة في موضوعها ، ولكن عدم درايته بالسرد والخطأ في الأحداث والخلط بين شخصيات القصة جعل السيدة تقول له : آسفة يا سيدى لأن جوادك يسير سيرا خشنا ، فأرجو أن تسمح لى بالنزول عن ظهره • ومن الواضح جدا أن الجواد هو القصة •

٣ — ٥ — ٣ — ويروى بعض النقاد (٢٥) أن القصة الحديثة تبدأ مع (بوكاتشيو) • وقد قلده الكثيرون ممن جاءوا بعده في أوروبا اثر ترجمة قصصه • وفي القرن الخامس عشر الميلادى انتشرت القصص في ايطاليا واسبانيا وفرنسا متأثرة بقصص بوكاتشيو • وفي القرن السادس عشر الميلادى امتد تأثير بوكاتشيو وواصلت القصة انتشارها في بلدان أوربية أخرى • وبرزت في فرنسا في ذلك القرن السادس عشر كاتبة قصة هي (مرجريت) الزوجة الأولى للملك هنرى الرابع ، وألفت مجموعة قصص على نهج (الديكامرون) نشرت عام ١٥٥٨ م • وفي القرن السابع عشر الميلادى تميزت القصة بطابع ملحوظ ، اذ بعدت عن الأصول الأولى للقصة ، ولكن مع نهاية ذلك القرن خبا بريق القصة واستمر ذلك في القرن الثامن عشر الميلادى ، لأنه عصر الاهتمام بما هو عملى ومادى وملموس ومفيد • وربما كان الكاتب الفرنسى الذائع الصيت « لافونتين » أشهر من نمى هذا الجنس الأدبى ، الا أن قصصه خرافات في معظمها • كما أسهم في انماء القصة « فولتير » « ومدام دى ستال » دون أن يكونا قصاصا •

٣ — ٥ — ٤ — ومن النقاد من يرى أن القصة القصيرة الحديثة تدين بالفضل « لموباسان » في النصف الثانى من القرن التاسع عشر •

كان « موباسان » يعتقد أن الرواية لا تصلح للتعبير عن الواقعية الجديدة التي ترى أن بالحياة لحظات عابرة قد تبدو في نظر الرجل العادي لا قيمة لها ، ولكنها تحوى من المعانى قدرا كبيرا ، وكان هدفه أن يصور هذه اللحظات ، وأن يستشف ما تعنيه . ولكنها قصيرة ومنفصلة ، ولكل منها معناها المعين ، فكيف يمكن أن تحويها رواية واحدة . ووجد « موباسان » الحل في القصة القصيرة وكان هذا اكتشافا خطيرا يلائم روح العصر . وقد بلغ أمر « موباسان » في القصة القصيرة الى قول أحد النقاد بأن القصة القصيرة هي « موباسان » و « موباسان » هو القصة القصيرة .

٣ — ٥ — ٦ — واذا كان النقاد قد عثروا على أب شرعى للقصة القصيرة ، فإن مؤرخى الاعلام لا يستطيعون نسبة القصة الخبرية الى أب أو — ان شئت — الى أب واحد . ذلك لأن القصة الخبرية تعد تطورا مركبا للخبر . ولكن يمكن القول بأنها من مواليد القرن التاسع عشر الميلادى ، شأنها فى ذلك شأن القصة القصيرة .

٣ — ٥ — ٧ — يكاد مؤرخو الاعلام يجمعون على أن (مدينة البندقية) كانت قبيل عصر النهضة الأوربية المركز الأوربى الأول لتبادل الخبر . وكانت أوربا بصفة عامة قد عرفت الخبر المنسوخ بخط اليد قبل اختراع الطباعة عام ١٤٣٦ ويرجح المؤرخون أن الخبر المنسوخ ظهر لأول مرة فى انجلترا سنة ١٢٧٥ ميلاديا . وانتشر الخبر المنسوخ فى معظم أوربا قبيل عصر النهضة . وكانت صحافة ذلك الزمن مخلوطة . فقد ظهر فى القرن الرابع عشر الميلادى فى ايطاليا لون من الصحف المخلوطة ، يطلق عليه الكراسات الاخبارية أو الكتيبات الاخبارية ، كان يكتبها تجار الأخبار تلبية لرغبة الشخصيات الكبيرة ، ذات النفوذ الواسع المتعطشة لمعرفة أخبار العالم . وكان لهؤلاء التجار مكاتب

اخبارية حسنة التنظيم ، ظلت تعمل لحسابهم خلال القرن الخامس عشر الميلادى وشطرا من القرن السادس عشر الميلادى . ذلك لأن الصحافة لم تفد من المطبعة الا فى القرن السابع عشر . عندما بدأت الصحف بمعناها المعاصر . الصحف التى تعتمد على الاعلانات والتوزيع لتعطى نفقاتها وتحقق ربحا . ومع ظهور الصحف الشعبية أو الصحف ذات التوزيع المرتفع برزت أهمية الخبر المثير . ومن أبرز أخبار الاثارة الجرائم ، وبخاصة ما كان منها مرتبطا بالجنس . ومن هنا — فى رأينا — بدأت القصة الخبرية التى اتسع مداها فى الصحافة المعاصرة لتشمل أخبارا أعمق وأوسع من أخبار الجرائم .

٤ — المحلية والمالية :

٤ — ١ — فسر لنا التاريخ الروابط بين القصة القصيرة والقصة الخبرية ، أما البيئة الثقافية فتأخذ من التاريخ امتداده الرأسى لترسم لنا فى مداها الأفقى حدود العلاقة بين القصتين . ان القصة القصيرة والقصة الخبرية مثل النكتة . منها العام أو الشامل أو المشترك الذى يفهمه الناس جميعا ، ويتجاوبون معه مع اختلاف البيئات الثقافية ، واختلاف الأماكن والحضارات . ومنها القاصر على محيط خاص لا يفقه عمقه الا أبناء بيئته الثقافية أو الحضارية . لذلك ما يعد خبرا عند « الاسكيمو » قد لا يعد خبرا عند سكان الجزيرة العربية ، وما يعد نكتة عند الانجليز قد لا يضحك المصريون ، وما يشبع نهم قارئ سوفيتى فى قصة قصيرة قد لا يشد انتباه قارئ افريقى . . . وهكذا . ولكن الخبر أو القصة سواء كان مشتركا أو قاصرا لابد وأن يعكس الثقافة التى ينتمى اليها . لابد أن يعبر عن السر الكامن خلف النشاط الاجتماعى الذى أفرز القصة أو الخبر . ذلك الذى يسمى الوجدان أو الثقافة . ذلك الشئ المرتبط بالتاريخ . . . برقات الأجداد وحكمتهم وأرواحهم .

٤ - ٢ - وعندما يعالج (بل كنسر) و (نيل كليممان) (٢٦) التاريخ باعتباره قصصا يقولان اننا نؤمن بأن المجتمعات تنتج أنظمة تعبير أو بيان متوازية أو متصلة داخليا بعضها ببعض • وتعكس تلك الأنظمة مركبا اجتماعيا شاملا للمعاني والقيم • وتحاول المجتمعات — بدرجات متفاوتة من الحماس — أن تبرز منطق الارتباطات المتشابكة للمعاني والقيم ، عن طريق استخدامها للخرافة وللتفسير التاريخي • ولكن هذه التفسيرات تأتي من داخل المجتمع نفسه • ولهذا فهي جزء من المركب المعقد للمعاني والقيم • ليست فوق المركب ولا خارجه • ومن ثم فإن مثل هذه التفسيرات لا تضيف دلالة جديدة ، لأن المجتمع لا يستطيع دراسة الطريقة التي يفسر بها نفسه ، أي الأسلوب والغرض من تاريخه • وبعض المجتمعات تهتم بصفة خاصة بتفسير نفسها بنفسها بانتاج نظام وتاريخ يجعل هذه التفسيرات منطقية • و (بل) و (نيل) يضربان مثلا بألمانيا ويعترفان بأنهما يعالجان الوعي الألماني كما لو أنه ينتمي الى فنان قد ركب عن قصد نموذجا من المعنى التاريخي والأحداث ، حتى ان البداية لا بد وأن تقود الى النهاية • ويذهب المؤلفان الى القول بأن التركيبات أو الكيانات داخل مجتمع ما لا بد أن تعكس أو تقدم القيم والمعاني الخاصة بالنظام الاجتماعي بكتيته • أي أن كل جزء من الأجزاء المكونة للنظام الاجتماعي له علاقة متجانسة بكل جزء آخر وبالنظام ككل • أي أن كل ملمح اجتماعي أو مستوى اجتماعي يحمل الطابع الشامل للعمل الاجتماعي • وعلى سبيل المثال نجد التشريعات السياسية المتطورة تتسق مع هياكل النشاط السياسي والاجتماعي ، وهي بدورها تتسق مع الخرافات الاجتماعية وأشكال التفسير التاريخي • ويذهب المؤلفان في تفسير العلاقة بين الفن والتاريخ الألماني ، بأن (النازية) اكتشفت عن قصد رجوع الصدى Feed Back بين الفن والتاريخ الألماني • وأنه كان قاعدة لدعايتهم لقد مكنتهم معرفة تلك العلاقة من اضافة قيمة جمالية على الواقع •

فجعلوا من الخرافة تاريخا • وكان هذا الدافع لاضفاء القيمة الجمالية على الواقع كان نفسه عنصرا أساسيا في معنى التاريخ الألماني حتى ظهور الدعاية (الهتلرية) •

ويقدم (مروا) لمحة بشأن ما يعنيه الدافع الجمالي أو الحافز الجمالي قائلا انه يعنى أننا نحتاج قصصا محكيا ، لأن حيتانا الحقيقية تمر في عالم غير منطقي ونحن نشتاق الى عالم خاضع لقوانين الروح • • عالم منظم • وفي القصة نسعى الى عالم فيه عواطف دون أن نعارض أنفسنا بنتائج العواطف الحقيقية • وبتطبيق ذلك على ألمانيا يرى المؤلفان أن الغرض من المذهب الجمالي في ألمانيا كان واضحا لهما في أن الألمان يحتاجون الى حقيقة جمالية ، لأن الألمان شعروا بأنهم يعيشون في عالم غير متجانس المنطق • عالم لم يكونوا متأكدين فيه من شخصيتهم القومية • وبذلك لم يكونوا متأكدين من شخصياتهم الفردية • انهم — باختصار — كانوا يشعرون بأنهم مفتوحون للهجوم • هذا الانفتاح للهجوم عليهم معبر عنه في التاريخ الألماني بالمزيج من الخوف ومن التربص بجهة سامية • ومعبر عنه في الفن الشعبي بقصة الملكة الاقطاعية تحت الحصار • وهكذا وجدنا أو فسرا المعنى الأساسي لطبيعة الدعاية النازية •

٤ — ٣ — يروي الدكتور زكي نجيب محمود (٢٧) تجربته مع عدد واحد من صحيفة يومية بريطانية عام ١٩٧٧ مستعرضا القصص الخبرية فيها بعنوان : « ثقافة أخرى » • فاذا بالقصة الخبرية الأولى عن سيدة تقدم للمحاكمة لأنها كانت تحرض أمها العجوز على الانتحار • وأعدت لها الأقراص القاتلة • ولكن الشرطة سجلت كل شيء ، وألقى القبض عليها وقدمت للمحاكمة • ويعلق الدكتور زكي بقوله تلك شريحة من حياة الغرب ، مما اعتقد أنه مستحيل الحدوث في حياتنا • ثم يعود الى صحيفته ذاتها فيقول : « وأعود الى الصحيفة اليومية في يدي ، لأستعيد قصة امرأة خرجت من السجن لتوها بعد أن أمضت بين جدرانها أربعة أسابيع ، لماذا ؟ لأنها نذرت حياتها للحيلولة بين الثعالب

وصائديها ، فها هنا ما زال صيد الثعالب في الغابات هواية محببة للقادرين عليها ، فقالت هذه المرأة لنفسها : كيف يجوز للانسان مطاردة حيوان ليليو ؟ أليست تلك الثعالب كائنات حية أراد لها خالقها أن تحيا ؟ ومن هذه العقيدة عند المرأة انتقلت لتتنفق جهودها وأموالها في معاكسة اللاهين بمطاردة الحيوان وصيده ، فرفع بعضهم أمرها الى المحاكم لما ناله من ضرر ، وحكمت عليها المحكمة بالسجن أربعة أسابيع ، خرجت بعدها بالأمس ، لتعلن في الصحف أنها لن تكف عن الدفاع عن الحياة في أية صورة كانت ، ولينالها من عنت القضاء ما ينالها ، ولم يفتها أن تتدد بالعدالة في بلادها ، اذا كان معناها قد انحدر في أذهان القائمين عليها الى هذا المنحدر المشين .

واذن فهذه شريحة أخرى من حياة (الغرب) ، فيها المثل الأعلى ، وفيها الاصرار على الجهاد في سبيل ما يقيمه الانسان لنفسه من نماذج المثل العليا ، ولعل هذا الجانب من حياة (الغرب) تؤيده قصة أخرى في هذه الصحيفة اليومية نفسها ، عن أميرة شابة تطلعت الى أن تجوب منطقة صحراوية في قلب أستراليا ، فذهبت وحدها واستأجرت أربعة جمال ، وكان معها كلبها ، وظلت تتحسس طريقها هناك أربعة أشهر ، تكشف لنفسها الجديد ، فما وهنت لها عزيمة ، ولا أغراها شبابها أن تحيا حياة المتعة في المدن ، وبمثل هذه العزائم تبني الحضارات .

وصورة أخرى تقدمها الصحيفة ، وهي أن رجلا من أصحاب الأعمال في فرنسا ذهب أثناء النهار الى منزله لطارىء عارض ، فاذا هو أمام مفاجأة أفقدته صوابه ، اذ رأى أحد العمالين عنده مع امرأته في فراشه ، فكان أن فصله من العمل فور لحظته ، فهل يخجل العامل من فعلته ؟ أبدا رفع أمره الى القضاء ، لأنه لم يكن من حق صاحب العمل أن يفصله بغير انذار ومهلة من زمن ، وبغير تعويض يحدد القانون مقداره ، والأعجب أن تأخذ المحكمة بوجهة نظره ، وتحكم على صاحب

العمل بغرامتين يدفعهما للعامل ، احدهما للفصل الفوري ، والأخرى عن الضرر ، لكن صاحب العمل قد هاله هذا الظلم فاستأنف ، ومن حسن الحظ أن المحكمة هذه المرة قدرت ظروفه وأعفته من الغرامتين •

وأعود الى الصحيفة لأستخرج من صفحاتها عجبا من العجب : جمعية هدفها المطالبة بأن يكون للراشدين من الرجال أو النساء حق الاتصال الجنسي بصغار السن ، وأرادت هذه الجمعية أن تعقد مؤتمرا ، فاتفقت مع أحد الفنادق في لندن أن يؤجر لها بهوا من أبهائه ووافق مدير الفندق ، لكن حدث أن سمع العاملون بالفندق بأمر هذا الاجتماع وأهدافه ، فهددوا صاحب الفندق بأن يتركوا أعمالهم اذا ما تم الاجتماع ، لكن أعضاء الجمعية أصروا على الاجتماع في ظل ما اتفقوا عليه ، دونما خجل من وضعهم الشاذ ، بل انهم ليعلنونه في صراحة تثير العجب » •

ثم يضيف الدكتور زكى ملاحظاته حول ما في الصحيفة من كنوز أدبية وفنية • ويعقب قائلا : جمعت هذه الأشتات بعضها الى بعض ، وهى أشتات مأخوذة من صحيفة واحدة في يوم واحد ، فألفيتها تصور مناخا ثقافيا ليس بينه وبين مناخنا الثقافى شبه • لا من قريب ولا من بعيد ، فخرجت بنتيجة مؤكدة ، وهى ضرورة أن يكون لكل ثقافة قومية معاييرها الخاصة ، بالإضافة الى المجال المشترك الذى يجب أن يتفق فيه الناس جميعا ، وأعنى به مجال العلوم وأشباهاها ، ومن هذا وتلك تتكون صورة العصر •

٥ — التأثير والتأثر :

٥ — ١ — يقول بعض النقاد أن الصحافة أثرت على القصة فكانت الصحافة من أسباب ظهور القصة الواقعية • وهذا القول ينقصه التحديد ، ففى رأينا أن القصة الخبرية هى التى أعارت للقصة الأدبية بعض أثوابها الواقعية • وكان ذلك فى محيط الظروف التاريخية والموضوعية التى يفصلها مؤرخو الأدب والنقاد •

٥ — ٢ — ان القصة الأدبية القصيرة وجدت سكنا مناسباً في الجرائد والمجلات • وقد وفر لها السكن الجديد فرصة التعرض لألوف القراء ثم ملايين القراء • ولقد فرضت بعض ظروف المساحة الضيقة شكلاً قزماً للقصة الأدبية القصيرة ، فضحى القصاصون بأجسام قصصهم لتناسب هذا القلب الضيق ، فقمزوا بعض انتاجهم القصصى ، فصار مسخاً بدل أن يكون فناً •

٥ — ٣ — لا ينكر باحث تأثير أسلوب الصحافة على الأدب المعاصر بصفة عامة • لقد أصبح الأديب مطالباً في قصته القصيرة أن يقترب من أسلوب الخبر في السياق وليس في القلب • وأصبح على المحرر أن يستعين بالتطور الذى بلغه كتاب القصة في الحوار الواقعى على وجه الخصوص •

يقول الصحفى بول دى كرويف (٢٨) : قد تحسب أن كتابة كتاب خيالى أسهل من كتابة كتاب واقعى ملتصق بالحقائق • ذلك ليس بالأمر الأكيد • اذ عليك أن تتذكر أن حقائق الحياة كثيراً ما تكون أغرب من الخيال • وكثيراً ما تذهب الحقائق فى الخيالات ، الى أبعد ما يمكن ألمع القصاصين ان علم به فى خياله حلماً عابراً صرفاً • صعوبة الكتابة الواقعية ليست فى ايجاد حقائق خيالية شيقة ، بل فى جعل تلك الحقائق قابلة للتصديق •

ولغة الاعلام مشكلة بالمعنى العلمى للمشكلة الذى يعادل معنى قضية معاصرة • ولغة القصص بالمعنى نفسه مشكلة نقدية معاصرة • فالعامية والفصحى والتذبذب بينهما • ولمسة الخيال و (البهارات) فى القصة الخبرية • ثم الشاعرية فى لغة القصة القصيرة • هذه القضايا جميعها لها مجالات رحبة واسعة فى الدراسة • ولكنها فى موقفنا هذا تؤكد لنا أن ما أطلق عليه اللغة الثالثة ، أو النثر العلمى أو لغة الصحافة (وهو النثر الواقع بين لغة التخاطب العادية وبين النثر الفنى) تعد

مجالا مشتركا بين القصتين وبخاصة في الحوار • وأن كلا من القصتين
تأثر وأثر في هذه المساحة المشتركة •

٦ — وجوه المقارنة :

٦ — ١ — ان القواعد التي وضعها النقاد للقصّة الأدبية كانت
نتيجة تمحيص واستقراء وتحليل ومقارنة • بمعنى أن نشرها هو بداية
ميلادها ، لتعيش وتستمر موضع تداول وانتشار • ولكن القصّة الخبرية
حياتها يوم أو بعض يوم في الصحف اليومية (صباحية ومساءية) ،
وحياتها أسبوع على أكثر تقدير في الصحف الأسبوعية •

٦ — ٢ — من هنا ينبغي على أساتذة الصحافة أن يعاملوا القصّة
الخبرية معاملة مختلفة عن معاملة القارئ العادي لها • على أساتذة
الصحافة والمعنيين معالجتها بشيء من الدراسة والبحث يمهّد لها
السبيل للدخول من باب النقد •

٦ — ٣ — وعندما نفحص وجوه المقارنة بين القصتين • نتبين أن
الخروج عن المألوف يمثل بابا تدخل منه القصّة الخبرية • وأن
(الدراما) الانسانية تمثل بابا تدخل منه القصّة بوجه عام • فمن
التعبيرات الشائعة في الصحافة أن كلبا عض رجلا ليس خبرا ، ولكن
رجلا عض كلبا هو الخبر • وفي الحكّة يرى بعض النقاد (٢٩)، أنك اذا
قلت : مات الملك ثم ماتت الملكة بعد ذلك فهذه حكاية ، أما اذا قلت مات
الملك وبعدئذ ماتت الملكة حزنا فهذه حبكة • وقد احتفظنا هنا بالترتيب
الزمني • ولكن الاحساس بالأسباب والنتائج يفوقه • مثل آخر ماتت
الملكة ولم يعرف أحد سببا لموتها حتى اكتشف أنها ماتت حزنا على
وفاة الملك • هذه حبكة بها سر غامض • هذا النوع نستطيع أن
نطور به كثيرا ، وهو يلغى الترتيب الزمني ، كما أنه يبتعد عن الحكاية
بالقدر الذي تسمح به القيود التي تشده اليها •

٦ — ٤ — ومن وجوه المقارنة أيضا أن القصة الخبرية تحيط بالواقعية احاطة خارجية • أما القصة الأدبية فانها تحيط بها احاطة داخلية • والناقد الفرنسي (آلان)^(٢٠) يؤكد أن لكل كائن بشري جانبين يناسبان التاريخ والقصص • فكل ما نلاحظه في رجل — أعماله وما يمكن استنباطه عن حياته الروحية من أعماله — يقع داخل حدود التاريخ • أما عن الجانب الخيالي أو الرومانتيكي فشمّل الانفعالات المجردة ، أى الأحلام ، والأفراح والأتراح والاعترافات بينه وبين نفسه ، وهى التى يمنعه أدبه أو خجله من البوح بها • والتعبير عن هذا الجانب من الطبيعة البشرية هو أحد الأعمال الرئيسية للقصة •

نحن فى الحياة اليومية لا يفهم ألدنا الآخر ، اذ لا يوجد التنبؤ ولا الاعتراف الكامل • فنحن يعرف بعضنا البعض على وجه التقريب ، بإشارات خارجية ، وهذه تكفى جدا كأساس لاجتماع الناس بعضهم ببعض ، بل الألفة • ولكن القارئ يمكنه فهم الناس فى الرواية فهما تاما ، اذا أراد الروائى ، اذ يمكن اظهار حياتهم الداخلية والخارجية وهذا هو السبب فى أنها تبدو أكثر وضوحا من شخصيات التاريخ • أو حتى من أصدقائنا ، فقد قيل لنا عنهم كل ما يمكن قوله ، حتى لو كانوا غير كاملين أو غير حقيقيين ، فهم لا يحتفظون بأسرار ، بينما أصدقائنا يحتفظون بأسرارهم فعلا لأن اخفاء الأسرار المتبادل شرط من شروط النجاح على هذه الأرض • وعن الحقائق الرئيسية فى الحياة البشرية يرى الناقد أنها :

(أ) الميلاد •

(ب) الطعام •

(ج) النوم •

(د) الحب •

(هـ) الموت •

وحول هذه الحقائق تدور القصة •

٦ — ٥ — ومن وجوه المقارنة أن القصة الخبرية تعد تعبيراً موضوعياً عن واقعة ، أما القصة الأدبية فهي تعبير ذاتي • ولكن السؤال : هو ماذا يعنى التعبير الموضوعي ؟ وماذا يعنى التعبير الذاتي ؟ والعالم الألماني (أوتوجروت) عندما عرف الاعلام قال انه التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير وميولها واتجاهاتها • وفي الأدب والفن هناك قول شائع بأن العمل الفني تعبير عن الذات • ذات الفنان الأديب • ولقد سكب تعريف (أوتوجروت) للاعلام ظلاً على تعريف الخبر في صفات الحياد والدقة والتقريرية ، تلك الصفات اللازمة ليصبح الخبر خبراً ، وتصبح القصة الخبرية قصة خبرية • ولكن القول الشائع عن العمل الأدبي بأنه تعبير ذاتي أصبح يلقى في عصرنا شيئاً من النقد والتقليب والبحث • فمن النقاد (٢١) من يرى أن العمل الفني لا تزداد أهميته بمدى كشفه أو تعبيره عن شخصية الفنان ، بل العكس هو الصحيح • فنحن نقول في النقد الحديث أنه كلما اختفى الفنان وراء عمله بحيث أصبح العمل الفني هو كل شيء والفنان لا شيء • • كان هذا دليلاً على نضج العمل الفني وامتيازته عن غيره من الأعمال •

والدكتور رشاد رشدي يمضي في القول بأن شخصية الفنان لا دخل لها في تكوين العمل الفني • وإنما يرد الأمر الى الموهبة التي يهبها الله للفنان • وهو يقصد قول « اليوت » في الموهبة بأنها ليست قدرة الفنان على التعبير عن ذاته بل قدرته على الهروب من هذه الذات •

٦ — ٦ — من حيث الحجم عندما نقارن القصة الخبرية بالقصة القصيرة في مجال القصة عامة نجد أن القصة الخبرية تنتمي الى أكبر الأحجام في عالم الخبر ، وأن القصة القصيرة تنتمي الى أصغر الأحجام في عالم القصة • وبرغم يقيننا بأن الحجم ليست له دلالة معاصرة في القصة القصيرة ولا في القصة الخبرية الا أن المقارنة لا تستطيع أن تغض النظر عن الحجم في كلا القصتين • وكان العرب في العصر العباسي يطلقون على القصص القصيرة الحجم الشبريات ، تميزاً لها عن القصص الطويلة ، وهم يرون في ذلك بيت أبي دلف الخرجي :

ومن قصص لاسرائيل أو شبراً على شبر
وأصبحنا في النقد الحديث نطالع تسميات الأقصوصة (٣٢) للقصة
القصيرة جداً .

وفي القصة الخبرية حدث العكس ، فعندما تطورت كتابة الخبر
بمعرفة أسباب الحدث ودوافعه ، استطال وكبر ، حتى ظهر حجم القصة
الخبرية الأكبر نسبياً من الخبر .

٦ — ٧ — لا يمكن لبحث عن القصة القصيرة والقصة الخبرية أن
يغفل المقارنة بين بناء القصة القصيرة ، وبناء القصة الخبرية . بل ان
هذه المقارنة هي أهم وجوه المقارنة جميعاً بين القصتين .

في بناء القصة القصيرة يذكر الدكتور رشاد رشدي في كتابه فن
القصة النقاط الأربع التالية :

٦ — ٧ — ١ — (أ) الخبر : فمن المعروف أن القصة تروى
خبيراً ، ولكن لا يمكن اعتبار كل خبر قصة ، أو كل مجموعة أخبار قصة .
فلكى يصبح الخبر قصة يجب أن يكون له بداية ووسط ونهاية ،
أي أنه ينشأ بالضرورة عن موقف معين ويتطور وينمو بالضرورة الى
نقطة معينة . والفرق بين الخبر الذي يقتصر على تزويدنا بالمعلومات
والخبر الذي يصور حدثاً هو الفرق بين الخبر وبين القصة .

٦ — ٧ — ٢ — (ب) الشخصيات : ينشأ الحدث — في كثير من
الأحيان — عن موقف معين ثم يتطور الى نهاية معينة ، ومع ذلك يظل
الحدث ناقصاً . فكتوره من نقطة الى أخرى يفسر لنا كيف وقع ولكنه
لا يفسر لنا لماذا وقع ؟ والبحث عن الدوافع يتطلب التعرف على
الشخص أو الأشخاص الذين فعلوا الحدث أو تأثروا به . ولا يمكن
الفصل بين الشخصية وبين الحدث . لأن الحدث هو الشخصية وهي
تعمل .

٦ — ٧ — ٣ — (ج) المعنى : ان تطور الحوادث بالضرورة من موقف الى وسط الى نهاية لا يكفى لتصوير الحدث لأن الحدث هو تصوير الشخصية وهي تعمل • ولكن تصوير الشخصية وهي تعمل لا يكفى بدوره لاكتمال الحدث ، فالحدث المتكامل هو تصوير الشخصية وهي تعمل عملا له معنى • وبدون المعنى لا يمكن أن يتحقق للحدث الاكتمال ، لأن أركان الحدث الثلاثة وهي الفعل ، والفاعل ، والمعنى ، وحده لا يمكن تجزئتها • فليس للفعل أو الفاعل قيمة ان لم يكشف عن معنى •

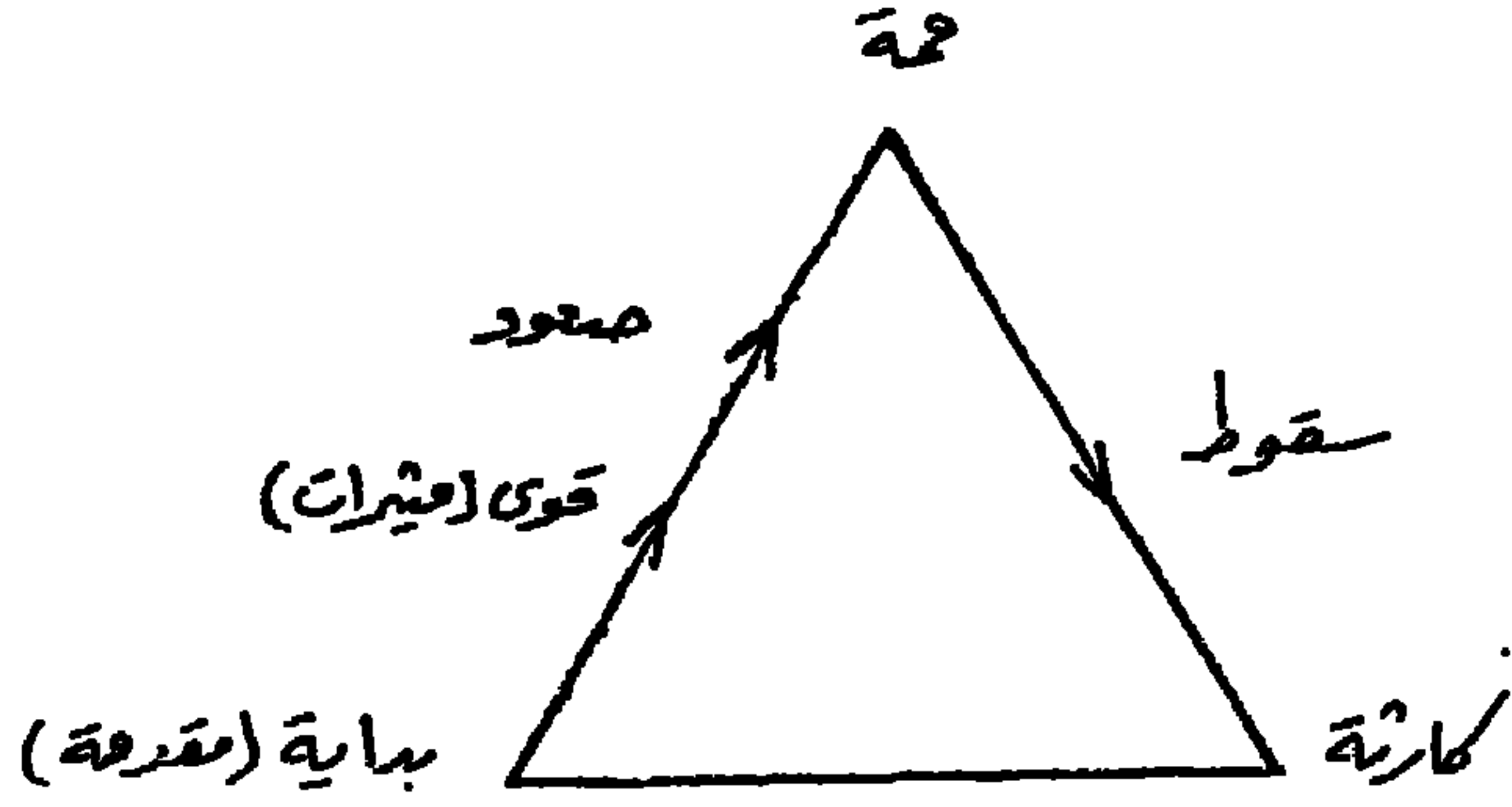
٦ — ٧ — ٤ — (د) لحظة التنوير : لكى تكتمل مقومات البناء فى القصة القصيرة لابد أن تلقى ضوءا معيناً تريد إبرازه • وهذا ما يسميه النقاد لحظة التنوير التى يكتمل بها معنى الحدث •

٦ — ٧ — ٥ — وربط الدكتور رشاد رشدى بين بناء القصة ونسجها ، ف يرى أن بناء القصة بأجزائه الأربعة لا يمكن أن ينفصل أى جزء أو يستقل حتى تتحقق سلامة البناء كذلك فان نسج القصة من وصف وحوار وسرد يجب أن يقوم على خدمة الحدث • وأنه لا يمكن الحديث عن نسج القصة منفصلا عن بنائها • وهما شئ واحد يمثلان كيان القصة •

٦ — ٧ — ٦ — والدكتور الطاهر مكى فى كتابه القصة القصيرة دراسة ومختارات يرى فى مجال بناء القصة القصيرة أن على كاتبها أن يحاكي حدثا لا يشارك فيه ، ومن الخطأ أن يقرر رأيا أو فكرة فى سياق القصة الا اذا جاءت على لسان أحد من شخصياتها • وكان لها علاقة بتطور الحدث ، والتقارير من الأشياء التى تعيب النسج القصصى عيبا شديدا ، والقصاص الماهر يترجم ما يريد الى معادل موضوعى • وبقدر ما بيرع فى ايجاد المعادل تكون فنية القصة وتميزها •

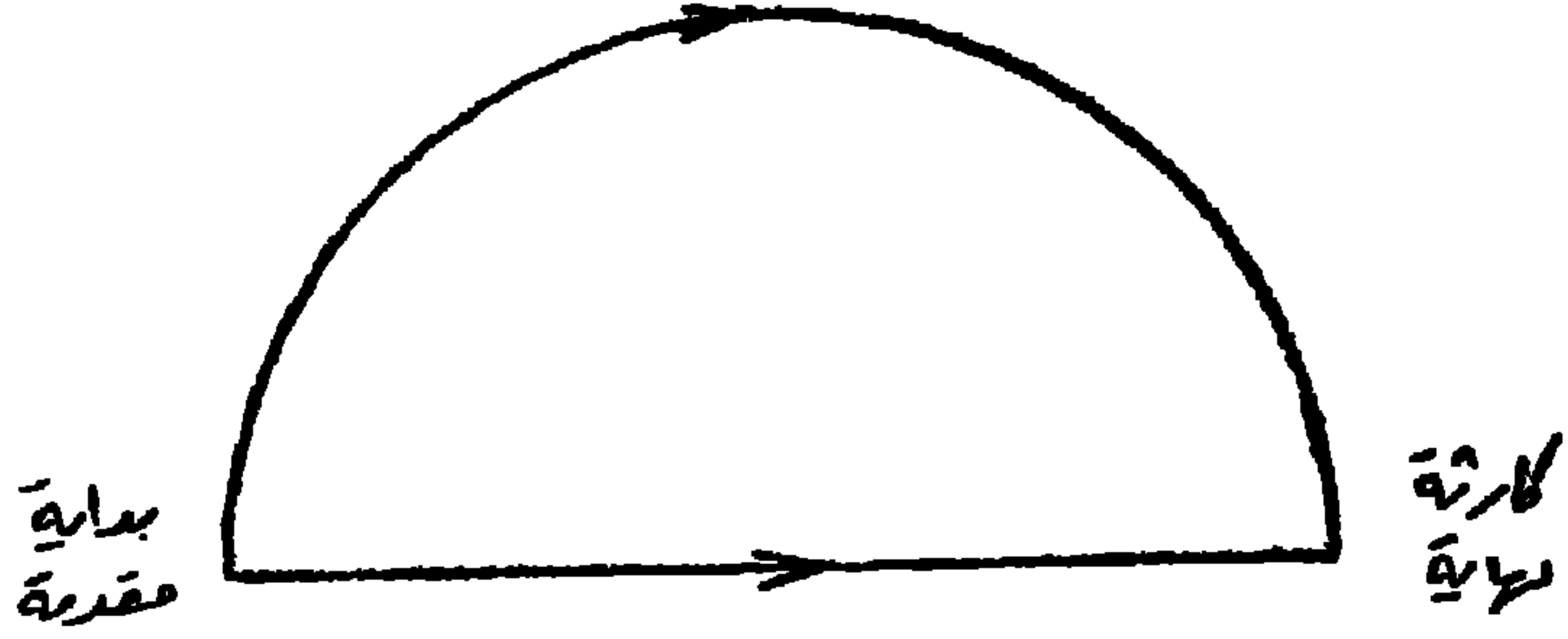
٦ — ٨ — والواقع أن المعادل الموضوعى أصبح من التعبيرات الشائعة في لغة النقد المعاصر . وهو أن يصور الأديب صورة في النص الأدبي تعادل ما يريد التعبير عنه . فالشجرة الباسقة المورقة بثمرها الناضج هي المعادل الموضوعى لسعادة ربة البيت وأنوتتها . والأرض القاحلة الخراب هي المعادل الموضوعى لبؤس انسان وهمومه ، أو المعادل الموضوعى لفساد حضارة وعمقها وضياعها ويحضرني المعادل الموضوعى مما أقوم به الآن وهو كتابة هذا البحث (بين القصة الأدبية والقصة الخبرية) . اننى أضغ الأفكار العامة لبضعة بحوث في فترة زمنية ثم أستبعد منها ما راهأ متعثرا أو لا يروق لى . ثم أعيش مع بحوثى في قراءاتى المقصودة كمراجع ، وفي قراءاتى الحرة ، وأجمع من كل قراءاتى ما أراه مناسبا لبحوثى . ثم أقلب البحوث في الليل والنهار وتلح على تفصيلاتها وفقراتها حتى تخرج متتابعة ، هأنجز بحثين ، في يوم وليلة ، أو أنجز بحثا ويلحق به آخر بعد أسبوعين أو شهرين . ولكنها لا تلبث أن تخرج جميعها ، فأبدأ من جديد . يحضرني المعادل الموضوعى لما أقوم به الآن في رقاد الدجاجة أو البطة على البيض . انها تضع بيضات في فترة زمنية ، ثم تحضن البيض بعد استبعاد بيضة فاسدة أو أكثر ، وترقد عليه فاذا استوفى زمنه ، خرج الكتكوت الأول وفي اليوم التالى أو بعد بضعة أيام يخرج كتكوت آخر ، أو يخرج ثلاثة في يوم واحد . وهكذا . فاذا فرغت الدجاجة أو البطة من فقس بيضها عادت من جديد تضع بيضا آخر .

٦ — ٩ — ولقد ذهب بعض النقاد في المثلث البنائى للقصة القصيرة مذاهب جديدة تستحق التأمل والنظر . فالناقد الروسى (٣٣) ستيرنبرج في نظريته لمثلث بناء القصة القصيرة يرى أن مثلث الرواية وفق البناء الأرسطى للمسرحية على الشكل التالى :



فالرواية تنطلق من بداية ما ، وسواء أكانت حقيقية أو مفترضة ، فانها بداية يتبعها صعود الى ذروة على مسار الضلع الصاعد في المثلث . وهو صعود تلعب فيه القوى والمثيرات دورا بارزا حتى يصل الموقف الى ذروة تحتم بالطبيعة أن يجيء بعدها الانحدار ، ولذلك كان من المتوقع أن يأتى السقوط الى سفح كارثة ما . وهذا المثلث ليس الا الاطار الشكلى العام الذى يتكرر فى معظم الصيغ البنائية المختلفة والذى يحاول أن يبسط الشكل وأن يجرده الى مكوناته أو اطاره الأول فقد يكون الصعود أو السقوط أخلاقيا ، وقد يكون اجتماعيا أو نفسيا . الخ ولكنه فى صورته التجريدية صعود أو هبوط .

ويحاول نقد الأقصوصة أن يتبنى فى كثير من صياغاته فكرة المثلث هذه ولكنه يتبنى فى الواقع مثلثا ضمنيا لا مثلثا فعليا . اذ ينطلق فيه الشكل من البداية الى السقوط مباشرة على الضلع الغائب فى هذا المثلث مفترضا وجوده أو مؤمنا باعتباره جزءا من تاريخ الموقف الذى يتناوله . ومن هنا فاننا لا نتعامل مع خط مستقيم . وبرغم أن الحركة تبدو وكأنها حركة مباشرة من البداية الى الكارثة مرة واحدة فانها حركة على أضلاع مثلث . ولكنه مثلثا قريب الشبه بالهلال .



ويشبهه « ستيرنبرج » القصة القصيرة بالقنبلة التي تلقى من طائرة فان هدفها الأساسي هو المسارعة باصابة الهدف بكل طاقاتها الانفجارية.

٦ - ١٠ - أما بناء القصة الخبرية فهو كما يستعمله طالب الصحافة في عامه الدراسي الأول ، والصحفي تحت التمرين ، هو قالب الهرم المقلوب ويندر أن يخلو كتاب في الخبر من صور للهرم المقلوب عليها بيان صدر Lead وجسم Body هما الهيكل البنائي للقصة الخبرية . أهم الحقائق أو المعلومات يتضمنها الصدر . وتأتى الحقائق أو المعلومات الأقل أهمية في فقرات الجسم درجة بعد درجة ، وهكذا يصبح النموذج التقليدي للقصة الخبرية على شكل مثلث يقف على رأسه .

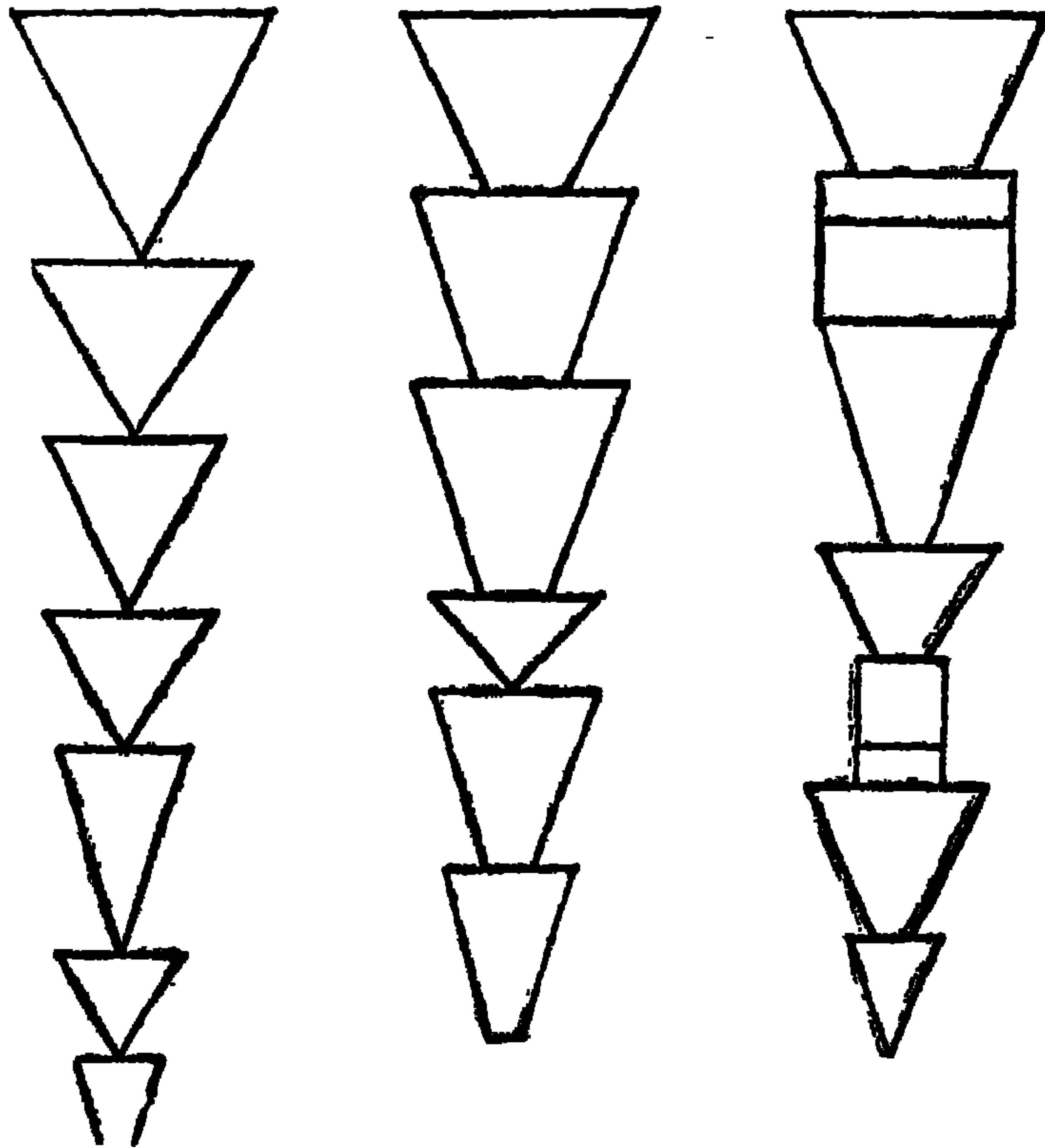
ويرى بعض أساتذة الصحافة (٣٤) أن تحليل القصص الخبرية خلال العقود الماضية من هذا القرن بين أنها ليست مثلثات بسيطة ، وانما هي عدد من المثلثات على خيط واحد مثل السمك . فالقصة تجمل في فقرتين أو في ثلاث فقرات ، ثم تقدم بتفصيل أكثر في مثلث ثان ، ثم تشرح بشيء من التطويل في مثلث ثالث . وربما أضيفت تفاصيل صغيرة ومميزات خاصة في مثلث رابع . واذا تأملنا قصة خبرية عن حريق كبير في ثلاث أو أربع عبارات . فان المثلث الأول يحدثنا عن القتلى والتلفيات ، والمثلث الثاني يكشف لنا كيف بدأ

الحريق وكيف انتشرت النيران وكيف جندت قوات مكافحة النيران ورجال الاطفاء ؟ أما المثلث الثالث فيقول لنا من اكتشف النيران ؟ والجهود المبذولة لحصرها والمساعدات الخارجية في اطفائها • وقد يخصص مثلث للحديث عن التأمينات على ما أكلته النيران • وقد يقدم المحرر الوقائع في تسلسلها مقتطفا قول أحد المارة الذي رأى الدخان ، أو الحارس الذي اكتشف اللهب أو ما شابه ذلك وهكذا نجد أن القصة الخبرية قد تشكل نموذجا أكثر تعقيدا حتى من سلسلة المثلثات • وقد تصبح المثلثات ذات قاعدة بليدة لا تثير نهم القارئ • لذلك لابد من تدخل المحرر لاعادة الترتيب والاحكام ، وربما اقتضى المنطق الداخلى للقصة الخبرية أن يحرك المحرر فقرة أو فقرتين قرب النهاية الى أعلى القصة •• وربما كانت فقرة تفصيلية في قلب القصة الخبرية من شأنها أن تقوى شكلها • وتجنبها التفكك والتشتت ومثل هذه التدخلات من المحرر هي التي تبين مهارته وقدرته •

ويذهب بعض أساتذة الصحافة ^(٢٥) الى القول بأنه من المفيد أن ننظر الى القصة الخبرية الحديثة لا باعتبارها مثلثا مقلوبا بل باعتبارها قطار بضاعة ، فقاطرة الديزل تمدنا بالقوة بالسير ، وتتبعها سلسلة من العربات الصناديق مملوءة بالمعلومات • فالقصة الخبرية لها روابط وإشارات داخلية أكثر من أشكال الكتابة الأخرى ، لذلك فغالبا قطار البضاعة يمكن المحرر من اجراء مناورات عديدة داخل الخط وخارجه بإبدال عينات الصناديق المختلفة فيدفع المحرر بالصناديق التي تحمل المعلومات أقل أهمية الى آخر القطار ويجعل الصناديق التي تحمل معلومات أكثر أهمية في المقدمة •

وأيا ما كان القالب الذي تكتب به القصة الخبرية فانها ينبغي أن تكون منطقية ، وأن تحرك القارئ من نقطة الى أخرى دون أن يفقد القارئ اهتمامه بها •

ويبين الشكل التالى شكلا أكثر تطورا من الهرم التقليدى المقلوب
لل قصة الخبرية ، انه يقدم لنا ثلاثة نماذج . فى كل نموذج مجموعة
متحدة من المثلثات والحواشى يمكن للمحرر أن يعيد ترتيبها وفق
مقتضيات القصة الخبرية التى يحررها .



ويقول توماس بيرى : غالبا ما يستخدم الصحفى فى كتابة قصصه
الاخبارية بنينا فريدا مقتصرا على الصحافة . فخلافا للقصة القصيرة
العادية حيث تتراكم الوقائع وتتربط لتصل الى الذروة ، يبدأ الصحفى
القصة الخبرية بالذروة ثم يشرع فى التوسع (٣٦) .

ويذهب ريفرز (٣٧) الى القول بأن بعض أنواع القصص الخبرية ظلت في طورها التقليدي والبعض الآخر قد اختفى ولكن من الضروري تأكيد القول بأن الشكل النموذجي الأساسي للقصة الخبرية هو القاعدة لكل أشكال القصص الخبرية • وأن معرفة بناء القصة الخبرية يتضمن معرفة أهدافها ويساعد في تحقيق وظيفة الصحيفة ، والشكل النموذجي للقصة الخبرية ليس معقدا بل ان من له دراية بالتحليل يمكنه أن يؤدي ذلك بسهولة • وتبدو سهولة القصة الخبرية حقيقة واقعة للذين مارسوا كتابة المقال أو القصة القصيرة • ويشرح « ريفرز » مفتاح الشكل النموذجي للقصة الخبرية بأنه كتابة أهم الوقائع وأكثرها تشويقا في البداية وفقا للبدء بقاعدة الهرم المقلوب التي تتضمن ما هو أكثر ثقلًا • ثم تتدرج الوقائع بترتيب أهميتها ، بحيث تكون نتيجة القصة الخبرية نتيجة منطقية •

وعندما يتحدث الدكتور عبد اللطيف حمزة عن القصة الخبرية يرى أن الفارق كبير بين الكتابة الأدبية الخالصة والكتابة الصحفية الخالصة • فبينما نرى الصحفي مقيدا بالأصول أو الصور أو المقوالب الفنية للقصة الخبرية ، نرى الأديب طليقا من جميع هذه القيود ، حرا في الوقت نفسه في اختيار الوقت الذي يكتب فيه انتاجه الأدبي حرا كذلك في المادة التي يخلق منها هذا الانتاج • ولقد اتفق رجال الصحف على أن يكون شكل القصة الخبرية هو الهرم المقلوب بمعنى أن الصحفي يأتي بالفكرة الرئيسية أو ما يسمى بالصدر Lead أولا ثم يأتي بالتفاصيل أو الجسم بعد ذلك • أما الصدر فينبغي أن يتوافر فيه شروط منها :

(أ) أن يشتمل على أهم النقط الرئيسية للقصة الخبرية •

(ب) أن يكتب في جمل قصيرة مثيرة وقليلة •

(ج) أن يجيب عن أسئلة ستة معروفة هي : من ؟ ، ماذا ؟ ، متى ؟ أين ؟ ، كيف ؟ ، ولماذا ؟ ، وعلى المحرر أن يوازن بين الأهمية النسبية لكل منها ليبدأ به قصته الخبرية .

(د) أن تكون ملامح القصة الخبرية واضحة في صدرها ، بحيث تميزها عن غيرها ، كما يستطيع القارئ أن يكتفى بها — أى بملامح القصة الاخبارية في صدرها عن تكملة قراءة القصة كلها ان ضاق وقته عن هذه التكملة .

وبعد ذلك يأخذ المحرر في كتابة ، صلب الخبر أو جسمه . والمتبع في كتابة الجسم أن يكون على شكل فقرات متكاملة ، كل فقرة منها وحدة مستقلة بذاتها بحيث يمكن حذف أية فقرة عندما تحتاج الصحيفة الى ذلك ، بشرط عدم الاخلال بالمعنى العام أو القيمة العامة للخبر .

ويرى الدكتور حمزة أن هذا الحذف في حالة الضرورة يمثل فرقاً آخر بين الأدب والصحافة . فنحن في الأدب نرى الفقرات التي يتألف منها المقال الأدبي آخذ بعضها بحجز (بضم الحاء وفتح الجيم) بعض ، بحيث اذا حذفنا فقرة منها أضر ذلك بالمعنى لكننا في الخبر الصحفي نستطيع أن نستغنى عن بعض الفقرات التي يتألف منها عند الحاجة . والخبر الصحفي في هذه الحالة يكون أشبه بالقصيدة العربية التقليدية كل بيت فيها وحدة قائمة بذاتها ، ويستطيع الشاعر أو القارئ أن يحذف من هذه الوحدات ، أو يقدم بعضها ويؤخر بعضها فلا يضر ذلك بالقصيدة (٢٨) .

ويرى بعض الصحفيين وبعض أساتذة الاعلام أن الأسئلة الستة التقليدية هي في حقيقتها أربعة أسئلة وذلك لأن كيف ؟ وماذا ؟ متضمنة في اجابة بقية الأسئلة في كثير من الأحيان .

واذا نظرنا الى التتابع الأقصوصى والصياغة الخبرية نظرة مقارنة يمكننا أن نجعلها في الجدول التالي :

(م ٥ — الصحافة بين التاريخ والأدب)

(*) التتابع القصصى والصياغة الخبرية

المقارنة	القصة الخبرية	القصة القصيرة
	طرق صياغة القصة الخبرية	اشكال التتابع الاقصصى
التطابق	١ - طريقة الترتيب الزمنى المعدول ويقوم على سرد القصة وفق تسلسل حدوثها.	١ - التتابع السببى او المنطقى ، وهو تتابع يقوم على النمو التدريجى المتسلسل من ا الى د مارا ب ب و ج .
انفراد القصة القصيرة		٢ - التتابع الكيفى ، وهو اكثر حنكة ، فبدلا من أن يؤدى حدث الى آخر ، يؤدى حدث الى تبلور قيمة كيفية اخرى وهكذا يعتمد التتابع على نسيج معقد وكثيف من الایماءات الموجبة التى تخلق وحدة خاصة ومنطقا متفردا .
التشابه	٢ - الترتيب الزمنى المعكوس : يبدأ بنهاية الحدث . ثم يعود بترتيب زمنى معكوس لشرح تفاصيل الحدث .	٣ - التتابع التقليدى وهو التتابع الذى يعتمد على قدرة الشكل الاقصصى وتقاليده على التأثير .
انفراد القصة القصيرة		٤ - التتابع التكرارى وهو تنمية القص من خلال امادة النص بصورة جديدة فى كل مرة ولكنها تنطوى على نفس الجوهر الواحد وتوسع افقه او تضيف اليه .
انفراد القصة الخبرية	٣ - طريقة التشويق المسرحى وذلك بجذب الانتباه كان تبدأ القصة الخبرية بصرخة سيدة فى منتصف الليل . او انطلقت رصاصات فى حفل كذا ، او ما شابه ذلك من تسلسل الحدث .	

خاتمة :

ماذا تقول لنا الدراسة المقارنة للقصتين الخبرية والأدبية ؟
إذا نظرنا الى المستويات الاجتماعية ، والمهنية ، والفنية نستخلص
ما يلي :

٧ - ١ - على المستوى الاجتماعى :

ماذا تصنع القصة الخبرية الكاذبة فى المجتمع ؟ وماذا تصنع
القصة القصيرة الكاذبة فى المجتمع ؟ والمقصود بالصدق فى الخبر صدق
الرواية • والمقصود بالصدق فى القصة الصدق الفنى • يمكن أن نتصور
الآثار التدميرية لكل منهما بالقنبلة العنقودية • انها قنبلة تتفرع منها
عشرات القنابل كل منها تصبح أداة دمار وتخريب • وفى القصة القصيرة
الكاذبة فنيا يمكن أن نذكر عددا لا يحصى من ألوان الدمار أقلها أن
تجعل القارئ يعيش خارج أهدافه وآماله ، وخارج أهداف وآمال
مجتمعه ، وتلج به الى عالم هروبى كأنها قطعة حشيش أو حقنة
مخدرات • وفى القصة الخبرية الكاذبة يتم تدمير العقل والنفس معا •
وعندما تحدث ابن الجوزى عن أسباب وضع بعض الناس أحاديث
ونسبها الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذه الأسباب هى
الغباوة ، والغفلة عن التمييز ، وطلب المال والجاه ، والتدليس ،
وايقاع الشك فى قلوب العباد • وأنا أستعير من ابن الجوزى أسبابه
الخمسة وأطبقها على الأخبار الكاذبة •

ولقد لعبت مدرسة الاثارة فى الصحافة المعاصرة دورا تخريبيا
فى عقول الناس بالجري وراء القصص الخبرية الكاذبة ، ويكفى أن
نضرب مثلا عابرا نشر فى بريد القراء (٣٩) بتوقيع محاسب اسمه
(على عبد الرحمن) بعنوان « رغبنا تسلم جائزة الأم المثالية لأن أمى
ليست بائعة بيض أو دجاج » تعليقا على ما نشر بالأخبار فى
١٩٧٩/٣/٦ بمناسبة تكريم الأمهات المثاليات من أنه قد تم فوز
السيدة الوالدة صفصافة سيد علي بلقب الأم المثالية لمحافظة قنا أود أن

أوضح بعض الحقائق • لقد كتبت الأخبار « أن هذه السيدة تستحق لقب الأم المثالية لا لأنها أنجبت هؤلاء الأبناء ، ولكن لأن زوجها رحمه الله كان رجلا مزارعا بسيطا يتقاضى ٣ جنيهات شهريا الأمر الذى جعل النقود تقف حائلا دون رغبتها فى اتمام تعليمهم مما جعلها تشتري عدة دجاجات من أحد جيرانها بالقرية وبدأت تباع البيض والدجاج والأرانب لأهالى القرية ، واقتطعت من قوت يومها للانفاق على أولادها حيث تم تعليمهم •

والواقع أن الحقيقة غير ذلك تماما • فلم يحدث يوما أن قامت أمى ببيع البيض والدجاج • صحيح أن الفقر ليس عيبا • ولكن العيب أن يذكر كاتب الموضوع وقائع وأحداثا لم تقع وأغرب من ذلك أننا فوجئنا فى الموضوع بكلمات على لسان السيدة الوالدة •• لم تتفوه بها اطلاقا • مما تسبب فى اصابتي وأمى وجميع أشقائى بأزمة نفسية حادة • ان المجتمعات الصعيدية تهتم بعراقة الأصل وحسن المنبت ، ولا يصح أبدا أن يتم تجريحها بهذا الشكل • وقد رفضنا تسلم جائزة الأم المثالية رغم أن والدتنا مثالية حقا •• ولكن ليس ببيع البيض والدجاج ، ولكن لأنها أدركت بغريزة الأمومة أهمية التعليم فشجعت أبناءها عليه حتى تخرجوا وشغلوا مناصب مشرفة •

وماذا تصنع القصة الخبرية الصادقة فى المجتمع ؟ وماذا تصنع القصة القصيرة الصادقة فنيا فى المجتمع ؟

ان الخبر الصادق هو النور الكاشف أمام العقل ، وهو حيثيات رأى العام للحكم المستنير • والقصة القصيرة الصادقة فنيا تنوير لعقل الانسان وتبصرة تسلحه بالقدرة على مواجهة الحياة وتسلحه بالوعى بهذه الحياة •

٧ — ٢ — على المستوى الثقافى المهنى :

ينبغي على الأديب أن يتأمل عناصر القصة الخبرية وعلى الصحفي

أن يستوعب فنون القصة القصيرة ليثري كل منهما رؤيته ، وليزيد
كل منهما قدراته في معالجة قصته .

٧ - ٣ - على المستوى الفنى :

ان الحوار ظاهرة حياة وظاهرة صحية ، والحوار بين القصتين
يولد أمام النقاد دروبا لتنمية كل من القصتين .

ويذكر صبرى حافظ (٤٠) أن عصر الأقصوصة (وهو يعنى بها
القصة القصيرة بوجه عام) فى أدبنا العربى يناهز عمرها فى عدد من
الآداب الأوربية الأخرى . ويذكر أن مصطلح الأقصوصة باعتباره
مصطلحا يدل على جنس أدبى معين لم يحظ بمكانة رسمية فى لغة
القارىء الانجليزى حتى أدرج قاموس اكسفورد الانجليزى هذا
المصطلح فى ملحق له عام ١٩٣٣ م . وكانت الأقصوصة المصرية قد
نجحت قبل هذا التاريخ بسنوات عديدة فى جعل الأقصوصة مصطلحا
أدبيا معترفا به فى دوائر المثقفين .

أليس فيما يذكر أمثال هذا القول تشجيعا لنا فى أن نبحث
فى العلاقة بين القصة الأدبية والقصة الخبرية ؟ وأن نحاول أن نفتح
لل قصة الخبرية باب النقد الصحفى لتحظى بما حظيت به القصة القصيرة
فى ساحة النقد الأدبى ؟

الهوامش

(١) القصص في اللغة هو تتبع الأثر لمعرفة المكان الذي نزل به أصحابه أو سلوكه . ومن هنا قيل للحداثة عن القوم انها قصة ، لان من يحكى عنهم يتتبع أثرهم ليعرف خبرهم ، فهو يقص سيرتهم في الزمان ، كما تقص السير في المواقع والجهات .

وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم بالمعنيين في سورة واحدة . فجاء في سورة الكهف (فارتدا على آثارهما قصصا) بمعنى تتبع الأثر لمعرفة الطريق ، وجاء فيها نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم آمنوا بربهم وزدناهم هدى) بمعنى تتبع الخبر في التاريخ . (انظر عباس محمود العقاد — خواطر في الفن والقصة — الطبعة الاولى — دار الكتاب العربي بيروت — لبنان — ١٩٧٣ — ص ٦٠) .

وفي تعريف الخبر هناك قول شائع في دراسة الاعلام بأنه من السهل أن تشير الى الخبر ، ولكن من الصعب أن تضع له تعريفا جامعاً . وبرغم ذلك فمن بين عشرات التعريفات للخبر هناك تعريفات تقليدية منها :

* الخبر هو الجديد الذي يتلفه القراء على معرفته .

* الخبر وصف أو تقرير دقيق غير متحيز للحقائق الهامة حول واقعة جديدة تهم القراء .

* الخبر بعض وجوه النشاط الانساني الذي يهم الرأي العام ويسليه ويضيف الى معلوماته جديدا (انظر د. عبد اللطيف حمزة — المدخل في فن التحرير الصحفي — الطبعة الثالثة — دار الفكر العربي — القاهرة — ١٩٦٥ ص ٥٧) .

ومن التعريفات الطريفة للخبر باللغة الانجليزية News أن كل حرف من هذه الكلمة يمثل الحرف الأول من الاتجاهات الأصلية : الشمال ، والجنوب ، والشرق والغرب .

N : North — E : East — W : West — S : South

وهو تفسير يرى فيه البعض الى جانب الطرافة معنى اهتمام الخبر بدائرة واسعة من الحياة الانسانية . (انظر : جلال الدين الحمامي — المندوب الصحفي — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٣ — ص ٢٤) .

(٢) د. الطاهر أحمد مكي — القصة القصيرة ، دراسة ومختارات — الطبعة الثانية — دار المعارف — القاهرة — ١٩٧٨ — ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٣) د. عبد اللطيف حمزة — المدخل في فن التحرير الصحفي — الطبعة الثالثة — دار الفكر العربي — القاهرة — ١٩٦٥ — ص ٩٠ .

(٤) د. الطاهر مكي — القصة القصيرة (مرجع سابق) — ص ٧ الى ص ١١ .

(٥) د. خليل صابات — وسائل الاتصال ، نشأتها وتطورها —
الطبعة الثانية — مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة — ١٩٧٩ — ص ٧ .

(٦) كلمة اسطورة وجمعها أساطير عريضة قديمة . والأساطير
في مختار الصحاح الباطيل . وهي في لغتنا العربية المعاصرة تعنى
الحكايات الخيالية القديمة . ولكن كلمة أساطير الأولين تعنى أيضا في اللغة
العربية الكلام المسطور أى المكتوب . ويذهب العقاد الى القول بأنه من
الممكن أن تكون الكلمة احدى الألفاظ التى تعربت عند اليونانية ، لان
(الاستوريا) عندهم بمعنى الخبر المسجل أو المعروف ولا يبعد أن يكون
اليونان قد أخذوها عن العرب لأنهم أخذوا الكتابة عن الأمم السامية
وسبقهم عرب الشمال وعرب الجنوب الى رسم الحروف ولا تزال أسماء
الألفاظ الألفا والبيتا والجاما عندهم منقولة من الألف والياء والجيم .
(انظر عباس محمود العقاد — خواطر في الفن والقصة) .

(٧) كان المخبر الصحفى في اليونان القديمة يحمل الخبر في ذاكرته
ويجربى عدوا حتى يصل الى مكان نشره الذى كان غالبا ميدانا يجتمع فيه
الناس . ويروى أن مخبرا صحفيا افريقيا ظل يعدو ستة وثلاثين كيلو مترا
حاملًا نبأ انتصار الجيش الاغريقى على جيش الفرس في موقعة (مارثون)
عام ٤٩٠ قبل الميلاد . ولما بلغ العداء أو المخبر الصحفى بالخبر الى
جمهورية خسر صريع التعب والاجهاد . وما يزال سباق المارثون يحمل
اسم الموقعة .

(٨) يفسر المثل العربى « فى بيته يؤتى الحكم » بقصة تقول أن الأرنب
التقطت ثمرة ، فاختلسها الثعلب فأكلها ، فانطلقا يختصمان الى الضب .
فقال الأرنب : يا ابا الحسل (ولد الضب) فقال سميعا دعوت . قالت :
أتيناك لنختصم اليك . قال : عادلا حكمتما . قالت : فاخرج إلينا . قال :
فى بيته يؤتى الحكم . قالت انى وجدت ثمرة . قال : حلوة فكليها . قالت :
فاختلسها الثعلب . قال : لنفسه بغى الخير . قالت : فلطمته فقال : بحقك
أخذت . قالت فلطمنى . قال : حمر انتصر . قالت : فاقض بيننا . قال :
قد دنسيت ، فذهبت أقواله كلها مثلا .

(٩) اجنتس جولد تسهر — مذاهب التفسير الاسلامى (ترجمة
د. عبد الحليم النجار) مكتبة الخاتجى بمصر والمثنى ببغداد — القاهرة —
١٩٥٥ م — ص ٢٦٤ ، ص ٢٦٥ .

(١٠) عبد الكريم الخطيب — القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه —
الطبعة الاولى — مطبعة السنة المحمدية — القاهرة — ١٩٦٤ — ص ٨ ،
ص ١١ ، ص ١٣ ، ص ٥٢ ، ص ٧١ .

(١١) د. محمد أبو الأنوار — من قضايا الأدب الجاهلى — مكتبة
الشباب — القاهرة — ١٩٧٦ — ص ١١١ الى ص ١١٨ .

(١٢) عباس محمود العقاد — خواطر فى الفن والقصة (مرجع
سابق) — ص ٦٠ الى ص ٦٢ .

(١٣) د. عبد اللطيف حمزة — الاعلام في صدر الاسلام — الطبعة الاولى — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧١ — ص ٧٧ ، ص ٧٨ .

(١٤) المصدر السابق ص ٧٩ .

(١٥) د. أحمد على المجدوب — جماعات القصاص — نشأتها وتطورها في المجتمع الاسلامى — مجله الوعى الاسلامى — العدد ٢١٧ — محرم ١٤٠٣ — اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٢ م .

(١٦) المرجع السابق .

(١٧) حكى ان الأصمعى مر بمقبرة فوجد حجرا قد كتب عليه هذا البيت من الشعر :

أيا معشر العشاق بالله خبروا اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع ؟
فكتب الأصمعى تحته :

يدارى هواه ثم يكتم سره ويخشع في كل الامور ويخضع
وعاد في اليوم التالى فوجد مكتوبا تحت بيته :

وكيف يدارى والهوى قاتل الفتى وفي كل يوم قلبه يتقطع
فكتب الأصمعى :

اذا لم يجد صبورا لكتمان سره فليس له كل شىء سوى الموت أنفع
فعاد في اليوم التالى فوجد شايئا ملقى على الأرض وقد فارق الحياة
وقد كتب على الحجر :

سمعنا ، اطعنا ، ثم متنا ، فبلغوا سلامى الى من كان بالوصل يمنع
(انظر : د. نبيلة ابراهيم — لغة القصص في التراث العربى القديم —
مجلة فصول القاهرة — يناير / مارس ١٩٨٢ م) .
(١٨) د. الطاهر أحمد مكي — القصة القصيرة (مرجع سابق) —
ص ٣١ .

(١٩) المرجع السابق ص ٣٦ ، ص ٣٧ .

(٢٠) من المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذانى :

« حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت بالبصرة ، ومعى أبو الفتح
الاسكندرى ، رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه والبلاغة يأمرها فتطيعه ،
وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدمت اليها مضيرة تثنى على الحضارة
وتترجرج في الغضارة وتؤذن بالسلامة ، وتشهد لمعاوية ، رحمه الله ،
بالامامة ، في قصعة يزل عنها الطرف ، ويموج فيها الظرف ، فلما أخذت
من الخوان مكانها ، ومن القلوب أوطانها ، قام أبو الفتح الاسكندرى يلعنها
وصاحبها ويمقتها وآكلها ، ويثلبها وطابخها ، وظلنناه يمزح فاذا الأمر بالضد ،
واذا المزاح عين الجد ، وتنحى عن الخوان ، وترك مساءدة الاخوان ،

ورفعناها فارتفعت معها القلوب ، وسافرت خلفها العيون وتحملت لها
الافسواه ، وتلمظت لها الشفاه ، وانتقدت لها الأكباد ومضى في أثرها
الفؤاد ، ولكننا ساعدناه على هجرها وسألناه عن أمرها . فقال : قصتي
معه أطول من مصيبتى فيها ، ولو حدثتكم بها لم آمن المقت واضاعة الوقت
قلنا : هات .

قال : دعائى بعض التجار الى مضيرة وأنا ببغداد ، ولزمنى ملازمة
الغريم ، والكلب لاصحاب الرقيم ، الى ان أجبتة اليها وقمنا ، فجعل طول
الطريق يثنى على زوجته ، ويفديها بمهجته ، ويصف حذقها في صنعتها
وتأنقها في طبخها ، ويقول : يا مولاي ، لو رأيتها ، والخرقة في وسطها
وهى تدور في الدار ، من التنور الى القدور ، ومن القدور الى التنور
تنفث فيها النار ، وتدق بيديها الأبرار ، ولو رأيت الدخان وقد غير
في ذلك الوجه الجميل ، وأثر في ذلك الخد الثقيل ، لرأيت منظرا تحار فيه
العيون ، وأنا أعشقها لأنها تعشقنى ، ومن سعادة المرء أن يرزق المساعدة
من حليته ، وأن يسعد بظيعته ، ولا سيما اذا كانت من طينته ، وهى ابنة
عمى لحاء ، طينتها طينتى ومدينتها مدينتى وعمومتها عمومتى وأرومتها
أرومتى ... الى آخر المقامة .

(٢١) أول لون من القصة ، بمفهومها العام ، عرفته أوروبا في العصر
الوسيط وشاع في أرجائها مأخوذ من أصول عربية واضحة ، هو كتاب
التربية الدينية *Disciplina Clericalis* ليهودى أندلسى من وشقة ،
يدعى موسى سفرادى اعتنق الكاثوليكية عام ١١٠٦ م . وتضمن كتابه
ثلاثا وثلاثين قصة شرقية يغلب على الظن أنه كتبها بالعربية أو لا ثم ترجمها
فيما بعد الى اللغة اللاتينية ونقلها عن كليلة ودمنة ورحلة السندباد ومصادر
عربية أخرى . وترجم كتاب كليلة ودمنة من العربية الى الأسبانية
عام ١٢٥١ م .

(انظر كتاب د. الطاهر أحمد مكى — القصة القصيرة — مرجع
سابق — ص ٤٦) .

(٢٢) د. رشاد رشدى — فن القصة القصيرة — الطبعة الثانية —
دار العودة — بيروت — ١٩٧٥ — ص ٧ الى ص ١٤ .

(٢٣) من قصص الفاشيتيا هذا النص :

كنت فى جمع من الأصدقاء نتناقش فيها يحب أن يوقع من عقوبات
على الزوجات الخائنات ، فقال صديقنا (سالوتالى) ان أفضل عقاب
فى رأيه ما هدد به رجل من بولينا زوجته ، فلما سألناه عن هذا العقاب
قال : كان لى صديق من (بولونيا) محترم بين أصدقائه الا أن زوجته كانت
سخية جواده مع الرجال ، حتى أنها تعطفت على مرة أو مرتين فى حياتها ،
ففى ليلة من الليالى ذهبت الى منزل صديقى فسمعتة يتشاجر مع زوجته ،
وكان يؤنبها على خياناتها المتكررة ، وكانت هى مثل غيرها من النساء
فى هذه الأحوال تنكر كل شيء ، وأخيرا صاح الزوج فى صوت مرتفع

(جيوفانا .. جيوفانا) انى لن أضربك ولن اشهر بك ، ولكنى عذمت على أمر أنتقم به لنفسى وهو أن أعيش معك وأجعلك تلدين طفلا بعد طفل الى أن يمتلئ البيت بالأطفال ، ثم أترك البيت وأهجر بك) ... وضحكوا جميعا لهذا النوع الغريب من العقاب الذى أراد به الزوج الفبى أن ينتقم لشرفه من خيانات زوجته . (المصدر السابق) .

(٢٤) من قصص (الديكاميون) قصة عنوانها (انتصار المرأة) تحكى قصة زوج غنى غيور ما زال يتشكك فى زوجته حتى دفعها لخيانتته . فكانت تشجعه على شرب الخمر فاذا سكر وفقد وعيه ذهبت الى عشيقها . وذات ليلة غافلها الزوج متظاهرا بالنوم . وظل ينتظر عودتها بعد منتصف الليل ليفاجئها باغلاق الباب من الداخل ورفضه أن يفتح لها الباب . وخشيت المرأة الفضيحة ، ففكرت فى حيلة ، وزعمت لزوجها أنها ستلقى نفسها فى البئر التى تقع خارج البوابة ، وعمدت الى حجر كبير فألقته فى البئر . وخرج الزوج مسرعا لينقذها بالحبل والدلو . وما أن خرج حتى دخلت البيت وأغلقت الباب من الداخل . وتبادل الزوجان الموقف . واستيقظ الجيران . الزوجة تصرخ قائلة : كان الأجدر بك أن تعود الى بيتك مبكرا بدلا من شرب الخمر الى ما بعد منتصف الليل . والزوج يقص القصة الحقيقية . ولكن الزوجة تبكى امام الجيران وتتهمه بالسكر وسبها فى عرضها . وينتقل الخبر الى اهل الزوجة فيضربون الزوج عقسا على اتهم ابنتهم . ويعيش الزوج فى البيت منبوذا ، ويدفعه الضجر الى طلب الصلح يعد أن يقسم على اقلاعه عن الفيرة والسماح لزوجته بأن تفعل ما تشاء بشرط أن تتصرف بحكمة وروية . ثم يختم المؤلف قصته قائلا : وهكذا ساد السلام مرة أخرى بين الرجل وامراته رغم ما لحقه من أضرار . فلتقل معي أيها القارئ : يحيا الحب ، والموت للحرب ولكل من يعلنها على النساء . (المصدر السابق) .

(٢٥) د. الطاهر أحمد مكي — القصة القصيرة (مرجع سابق) — ص ٥٠ الى ص ٥٤ .

James E. Combs and Michael W. Monsfield -
DRAMA in LIFE - The Uses of Communication in Society -
Hasting House - New York -1976 - P. 388 - 409 (Bill Kinser and Neil Kleinman)

(٢٧) د. زكى نجيب محمود — ثقافة أخرى — جريدة الاهرام — بتاريخ ١٩٧٧/٩/٨ م .

(٢٨) فن الصحافة — اعداد ادموند — د. كولنتر — ترجمة انيس صايغ — دار الثقافة — بيروت — ١٩٥٨ — ص ٢١١ .

(٢٩) ١.م فورستر — أركان القصة (ترجمة كمال عياد) — دار الكرنك — القاهرة — ١٩٦٠ — ص ١٠٥ .

- (٣٠) أركان القصة (المرجع السابق) — ص ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ .
- (٣١) د. رشاد رشدي — الفن هروب من الذات — جريدة الأهرام — بتاريخ : ١٩٨٢/٤/٨ م .
- (٣٢) يطلق بعض النقاد والباحثين العرب تسمية الأقصوصة على القصة القصيرة بصفة عامة ، بل ويفضلون لفظ الأقصوصة على الترجمة الحرفية القصة القصيرة .
- (٣٣) صبرى حافظ — الخصائص البنائية للأقصوصة — مجلة فصول — المجلد الثانى — العدد الرابع — يوليو / سبتمبر ١٩٨٢ .
- (٣٤) Gene Gilmore, Robert Root — Modern Newspaper Editing — Second Edition — Bayed and Frastar Publishing comany — San Francisco — U.S.A. — 1976 P. 285 - 287.
- (٣٥) المصدر السابق — ص ٢٨٧ .
- (٣٦) توماس بيرى — الصحافة اليوم تطورها وتطبيقاتها العملية — ترجمة مروان الجابرى — مؤسسة أ. بدركان وشركاه — بيروت — ١٩٦٣ — ص ٩٥ .
- (٣٧) William L. Rivers — The Mass Media — Reporting. Writing — Editing — Universal Book Stall — Delhi — 1967 — P. 155 - 165.
- (٣٨) د. عبد اللطيف حمزة — المدخل فى فن التحرير الصحفى — (مرجع سابق) — ص ٩٠ الى ص ٩٨ .
- (*) صبرى حافظ — الخصائص البنائية للأقصوصة .
و د. عبد اللطيف حمزة — المدخل فى فن التحرير الصحفى (مرجعان سابقان).
- (٣٩) جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٧٩/٥/٧ الصفحة الثالثة .
- (٤٠) صبرى حافظ — الخصائص البنائية للأقصوصة — مجلة فصول — المجلد الثانى — العدد الرابع — يولية / سبتمبر ١٩٨٢ .

المراجع

- ١ — أ. م. فورستر — أركان القصة (ترجمة كمال عياد جاد) — دار الكرنك — القاهرة — ١٩٦٠ .
- ٢ — ادموند د. كوبلنتر — فن الصحافة — ترجمة أنيس صايغ — دار الثقافة — بيروت — ١٩٥٨ .
- ٣ — د. أحمد علي المجذوب — جماعات القصص — نشأتها وتطورها في المجتمع الاسلامي — مجلة الوعي الاسلامي — الكويتية — العدد ٢١٧ محرم ١٤٠٣ هـ أكتوبر ، نوفمبر ١٩٨٢ م .
- ٤ — د. الطاهر أحمد مكي — القصة القصيرة ، دراسة ، ومختارات — الطبعة الثانية — دار المعارف — القاهرة — ١٩٧٨ .
- ٥ — توماس بيرى — الصحافة اليوم — تطورها وتطبيقاتها العملية (ترجمة مروان الجسبري) — مؤسسة ا. بدران وشركاه — بيروت — ١٩٦٤ .
- ٦ — جلال الدين الحمامصي — المندوب الصحفي — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٣ .
- ٧ — د. زكي نجيب محمود — ثقافة أخرى — جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٧٧/٧/٨ .
- ٨ — د. رشاد رشدي — الفن هروب من الذات — جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٨٢/٤/٨ .
- ٩ — د. عبد اللطيف حمزة — المدخل في فن التحرير الصحفي — الطبعة الثالثة — دار الفكر العربي — القاهرة ١٩٦٥ .
- ١٠ — عبد الكريم الخطيب — القصص القسراتي في منطوقه ومفهومه — الطبعة الاولى — مطبعة السنة المحمدية — القاهرة — ١٩٦٤ .
- ١١ — د. علي عبد الحليم محمود — القصة العربية في العصر الجاهلي — الطبعة الثانية — دار المعارف — القاهرة — ١٩٧٩ .
- ١٢ — د. فاروق ابو زيد — فن الخبر الصحفي — الطبعة الاولى — دار المسامون للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٨١ .
- ١٣ — فيكتور شكوفسكي — بنية الرواية وبنية القصة القصيرة (ترجمة وتقديم سيزا قاسم) مجلة فصول — المجلد الثاني العدد الرابع — القاهرة — يولية ١٩٨٢ .
- ١٤ — د. شكري محمد عياد — فن الخبر في تراثنا القصصي — مجلة فصول — المجلد الثاني — العدد الرابع — يولية — أغسطس وسبتمبر ١٩٨٢ .

- ١٥ — صبرى حافظ — الخصائص البنائية للأقصوصة — مجلة فصول —
المجلد الثانى — العدد الرابع — يولية / سبتمبر ١٩٨٢ .
- ١٦ — د. محمد أحمد خلف الله — الفن القصصى فى القرآن الكريم —
الطبعة الرابعة — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — ١٩٧٢ .
- ١٧ — محمد يوسف نجم — فن القصة — الطبعة السابعة — دار الثقافة —
بيروت — ١٩٧٩ .
- ١٨ — د. محمود أدهم — فن الخبر — الطبعة الاولى — دار الشعب —
القاهرة — ١٩٧٩ .
- ١٩ — د. نبيلة ابراهيم — لغة القصص فى التراث العربى القديم —

- 1 — Gene Gilmore, Robert Root — Modern Newspaper Editing
— Second Edition — Bayed And Faster Publishing Com-
pany — San Francisco — U.S.A. 1976.
- 2 — Growell Alfred — Creative News Editing — Second Edi-
tion — Willims Brown — Dubuque — U.S.A. 1974.
- 3 — James E. Combs And Michael W. Mansfield — Drama In
Life — The Uses of Communication In Society — Hastings
House Publishers — New York 1976.
- 4 — William L. Rivers — The Mass Media — Reporting ..
Wrting .. Editing — Unversal Book Stall — Delhi —
India — 1967.

الفصل الثالث

ما المجلة الأدبية ؟

ما الصحيفة ؟ الصحيفة لغة الكتاب أو الورقة وجمعها صحف وصحائف والصحيفة اصطلاحاً عدة ورقات تصدر يومياً أو في مواعيد منتظمة ، حاوية بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصل بذلك (١) .

وتاريخ اللفظ في اللغة العربية موغل في القدم . فقد ورد في القرآن الكريم « صحف ابراهيم وموسى » ، كما أن المصحف ذاته في اللغة مأخوذة من أصحف أى ما جمعت فيه الصحف . أما تاريخ الاصطلاح فحديث قريب العهد ، فقد كان الشيخ نجيب الحداد (١٨٦٧ - ١٨٩٩) منشئ صحيفة « لسان العرب » في الاسكندرية أول من استعمل لفظ الصحافة بمعنى صناعة الصحف والكتابة فيها (٢) . ولكن الاصطلاح يشمل الصحف جميعاً جرائد ومجلات ودوريات . بل يذهب بعض أساتذة الصحافة الى توسيع دائرة الاصطلاح الصحفى ليشمل معظم وسائل الاعلام ، فالإذاعة عندهم صحافة مسموعة ، والتلفزيون صحافة مرئية ، والجرائد والمجلات وغيرها صحافة مكتوبة . وعلى ذلك فإن أضيق حدود الاصطلاح تشمل الجرائد والمجلات .

الجريدة والمجلة :

ما الفرق اذن بين الجريدة والمجلة ؟

لو رجعنا الى كتب اللغة العربية وقواميسها لوجدنا أن كلمة جريدة تعنى الخيل أو سعف النخيل (٣) ، وهى بذلك بعيدة كل البعد عن المعنى المصطلح عليه الآن للصحيفة اليومية . أما كلمة مجلة فهى في القواميس العربية مرادفة لكلمة صحيفة ، وهى تقترب اقتراباً شديداً من المعنى المصطلح عليه الآن للمجلات الأسبوعية وما يشابهها .

وفي رأيي أن كلمة جريدة بمعنى الصحيفة اليومية أطلقت في العصر الحديث عند العرب مأخوذة من كلمة « جازيت » Gazette ومن كلمة جورنال Journal الفرنسية (٤) . والثقافتان الانجليزية والفرنسية هما المصدران الأساسيان للثقافة العربية الحديثة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، الى جانب تراث العرب وحضارتهم القديمة . ويذهب أديب مروة الى أن العرب لما عرفوا الصحافة في مطلع القرن التاسع عشر لأول مرة كانوا يطلقون عليها لفظ الوقائع . وأنه حين أنشأ خليل الخوري عام ١٨٥٨ صحيفة حديقة الأخبار — وهي في رأي أديب مروة أول صحيفة عربية بالمفهوم الحديث — أطلق عليها التعريف الفرنسي « جورنال » ، كما يذكر أن القس لويس صابونجي (١٨٤٣ — ١٩٢٨) صاحب مجلة النحلة استعمل لفظة نشرة بمعنى جريدة أو مجلة .

ويرى الدكتور محمود عزمي (٥) أن الدحداح أول من استعمل لفظ الصحيفة بالمعنى المصطلح عليه الآن . ويسرد الدكتور عزمي تاريخ التسمية في مصر والوطن العربي مشيراً الى أن مصر استعارت التسمية الفرنسية « جورنال » عندما أصدر محمد علي « جورنال الخديوي » عام ١٨٢٨ ، وأن مصر استعارت ومعها الوطن العربي في أحيان أخرى تسمية « كازته » بالكاف أو « غازته » بالغين ، والكاف في التركية تنطق جيما معطشة . والغين راجعة الى تعريب « الجاما » اليونانية أيام العباسيين عند حد قولهم « فيثاغورس » و « غالينوس » و « غراماطيقا » وبالتعبير بالكازته والغازته أخذت الحكومة العثمانية ، وتواتر التعبير « بالجرنال » « والغازته » ثلاثين عاما منذ صدور « جورنال الخديو » الى صدور « برجيس باريس » عام ١٨٥٨ ، وان كانت هذه الفترة قد تخللها استعمال بعض ألفاظ أخرى لم يكتب لها التوفيق ولم يكن لها الاستقرار كلفظ « نشرة » أو « الورقة الخبرية » أو « الرسالة الخبرية » .

وقد صدرت « برجيس باريس » باللغة العربية في العاصمة الفرنسية عام ١٨٥٨ لصاحبها رشيد الدحداح برعاية من سعيد باشا

والى مصر ، فخرجت عن التعبيرين التقليديين « جورنال » و « غازتة »
ووصفت نفسها بأنها صحيفة • ثم نشرت للشاعر قبادو التونسى
ترحيبا بها وبصاحبها فى قصيدة جاء فيها :

هتروى لك الدنيا بعرض صحيفة

وتشهد من أبنائها كل غائب

وشاع بعد ذلك استخدام كلمة الصحيفة فى الدوريات ، وفى قوانين
المطبوعات • وهكذا استقر لفظ الصحيفة للمعنى الاصطلاحي فى اللغة
العربية •

ويضيف الدكتور عزمى بأن الفقهاء والأدباء استساغوا اللفظ الذى
جاءهم من باريس فاحتضنوه ، ولكنهم كانوا على عادة أهل الأدب
فى كل زمان ومكان منقسمين شيئا وأحزابا • وكان رشيد الدحداح زعيم
جماعة تنافسها جماعة أخرى • من أركانها أحمد فارس الشدياق الذى
كان قد تتلمذ فى مدرسة الوقائع ، وكان قد ذهب الى الاستانة
وأنشأ فيها جريدة « الجوائب العربية » فى سنة ١٨٦٠ • فما أن عبر
الدحداح عن دوريته التى أصدرها فى باريس بالصحيفة حتى راح
الشدياق يبحث عن لفظ آخر يناهض به لفظ الدحداح ، وكان قد عرف
فى مصر لفظ الجريدة قائمة لتسجيل الحساب وضبط الأموال ، فقام
على تسجيل الحساب تسجيل الحوادث وأطلق على دوريته اسم
الجريدة وأنشأ يعارض به اسم الصحيفة ، الذى أذاعه الدحداح ••
ونجح فى ترويج اللفظ الجديد الذى سرعان ما استقر فى لغة الصحافة
كما استقر لفظ الصحيفة من قبل •

المقاييس الثلاثة :

وفى رأى أنه يمكن التفرقة بين الجريدة والمجلة بثلاثة مقاييس
رئيسية تحوى الشكل والمضمون لكل صحيفة • أولها الفترة الزمنية
لتتابع الصدور ، وهذا المقياس وان بدا لأول وهلة فى الشكل —
(م ٦ — الصحافة بين التاريخ والأدب)

لكنه الأهم عندي — لأن الصدور اليومي لصحيفة ما يؤكد كونها جريدة ولأن هذا المقياس أيضا مرتبط بالمضمون ارتباطا وثيقا لأن الصحيفة اليومية لا يمكن أن تتخصص كما تتخصص المجلات •

المقياس الثاني : هو المادة التحريرية ، وهي في الجريدة الخبر في المحل الأول ، وفي المجلة المقال بأشكاله المتعددة ، والتقرير الصحفي بأنواعه الأربعة من حديث وتحقيق وريپورتاج وماجريات الى جانب القصص والطرائف والرسوم والصور وما شابه ذلك •

المقياس الثالث : هو الحجم ، فقد درجت الجرائد خلال تاريخها العالى أن تكون في حجم أكبر كما درجت المجلات خلال تاريخها العالى ان تكون في حجم أصغر ، برغم صدور صحف يومية بالحجم النصفى « التابلويد » وبرغم صدور مجلات بحجم الصحف اليومية ، ولكن العبرة بالأغلب والأعم ، وما شذ عن هذه القاعدة قليل •

الى جانب هذه المقاييس الثلاثة الرئيسية توجد مقاييس ثانوية كنوع الورق والغلاف واستخدام الألوان وطريقة الطباعة والاخراج الصحفى ، واختلاف كل ذلك بصفة عامة في كل من الجريدة والمجلة •

تعريف المجلة :

واذا تعقبنا التاريخ الاصطلاحي للمجلة وجدنا أن الشيخ ابراهيم اليازجى أول من استخدم الكلمة بمعناها المصطلح عليه عندما اشترك مع الدكتور بشارة زلزلة والدكتور خليل سعادة في ادارة صحيفة الطبيب البيروتية عام ١٨٨٤ ، وهو أول من أشار باستعمال كلمة مجلة قائلا عنها : انها صحيفة علمية أو دينية أو أدبية أو انتقادية أو تاريخية أو ما شاكل ذلك ، تصدر تباعا في أوقات معينة •

ويعرف الدكتور مهدي علام ^(٦) المجلة فيقول :

« لو شئنا اليوم أن نضع تعريفا جديدا للمجلة لقلنا عنها انها صورة مختصرة سريعة رخيصة الثمن لدوائر المعارف » • بينما يعرفها الدكتور شكرى فيصل بأنها ظاهرة من ظواهر الحياة الحديثة أو مؤسسة من مؤسسات هذه الحياة الخصبة التى يعيشها العالم فى هذين القرنين • انها وجدت مع هذا التقدم الفكرى الذى غمر العالم ، وهذه الحاجة الى تبادل الرأى وتقابل الفكر قبل أن يكون قادرا على أن يتمثل تمثلا كاملا فى كتاب بين المفكرين ^(٧) • ويرى الدكتور مهدى ^(٨) أن وظيفة المجلة كانت قائمة فى حياة المجتمع العربى منذ قديم • بل يذهب الى أن كلمة Magazine التى يستعملها الانجليز وغيرهم بمعنى مجلة كلمة عربية الأصل • وفى رأيه أن مجالس الأدب والمناظرات والأمالى ، وتناقل الروايات كانت من صور المجلات فى القديم • ويفسر قوله بأن كلمة Magazine عربية الأصل وأن أول استعمالها بمعنى الصحيفة الدورية المشتملة على مقالات فى موضوعات مختلفة كان فى سنة ١٧٣١ عندما ظهرت مجلة The Gentleman's Magazine وقد وصفت نفسها بأنها مجموعة شهرية تضم فيما يشبه المخزن مقالات فى الموضوعات التى ستتناولها بالكتابة • وهذا المخزن الذى تشير اليه راجع الى أن كلمة Magazine استعملت فى أوربا أول ما استعملت بمعنى مخزن للبضائع نقلا عن كلمة مخزن من الفعل خزن • وكان هذا الاستعمال شائعا فى الأسبانية والفرنسية ، ثم استعمل لخزان البندقية الذى يحتوى على عدة طلقات من الرصاص ^(٩) •

وكما سبق القول بأن كلمة مجلة مرادفة لكلمة صحيفة فى قواميس اللغة العربية نجد أن المعنى القديم للكلمة يقترب من المعنى المصطلح عليه اقترابا شديدا •

المجلة الأدبية :

يرى الدكتور شكرى فيصل أننا لسنا فى حاجة الى تحديد مفهوم الأدب لفهم المجلة الأدبية • ويرى أننا لسنا فى حاجة الى خوض معركة

نظرية في هذا الموضوع ما دام من اليسير علينا أن نعرف المجلة الأدبية بسماتها العامة ، والدكتور فيصل لا يريدنا أن نفهم الأدب بمعناه الضيق الخاص . . معنى الأدب الانشائي الصرف ولا معنى الدراسة الأدبية ، وهو لا يريدنا أيضا أن نفهم الأدب بمعناه العام من حيث أنه مجموعة من الدراسات الانسانية والفكرية . ويقول محاولا تحديد رأيه : « وانما نريد أن نستعين هنا بالمفهوم المعاكس . ان مجلة المقتطف لبست مجلة أدبية ، ونحن متفقون على ذلك . انها مجلة علمية وان كنا نلقى فيها جانبا أدبيا ، ومجلة الأزهر كذلك ليست مجلة أدبية ، قد تكون تناولت الحياة الأدبية أو النقد اللغوي ، ولكن لها طابعا خاصا يميزها ، انها يمكن أن تدرج في نطاق المجلات الدينية . ولكن مجلة الزهراء التي كان يصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب مجلة أدبية لا شك في ذلك (١٠) وبعد أن يستعرض الدكتور شكرى فيصل أسماء بعض المجلات فيبيدها عن المجلات الأدبية ، ثم يستعرض بعض المجلات ويقول هذه في صميم المجلات الأدبية وينهى الرأى بقوله : « كذلك ترون أننا نستطيع في يسر أن نستبعد وأن نستبقى دون أن نفرق في تعريف الأدب فالمجلة الأدبية ذات سمات واضحة لا يمكن أن تعيب عنا (١١) .

ويقضى واجب الأمانة أن أبين أن الدكتور شكرى فيصل لم يضع تعريفا محددا ولا تصورا واضحا للمجلة الأدبية غير ذكر الأمثلة .

ولا شك أن الدكتور محمد الصادق عفيفي (١٢) قد تأثر برأى الدكتور شكرى فيصل في رسالته عن الصحافة الأدبية وأثرها في تطور الأدب الحديث بالمغرب الأقصى عندما قرر : « اننا لسنا في حاجة الى خوض معركة نظرية لتحديد مفهوم الأدب لنصل منه الى فهم المجلة الأدبية فمن اليسير على أى باحث أن يتعرف على المجلات الأدبية بمجرد تصفح فهرسها ، فهي ذات سمات واضحة وشعارات خاصة لا تغرب عن فكر القارئ » .

ويجيب فاروق خورشيد عن السؤال : هل المجلات الأدبية تعتبر من الأعمال الصحفية أم لا ؟ فيرى أنها ليست صحافة وانما هي مطبوعات خاصة دورية لفئات معينة من الناس وهذه الفئات يحددها لون المجلة ورسالتها وموقفها من الحياة الفكرية والثقافية ، وما تمثل من قطاعات في المجتمع الذي تعيش فيه ^(١٣) ، وفاروق خورشيد يصل الى هذا الرأي بعد أن يطرح السؤال ويبدأ الاجابة قائلا : الاجابة التي تخطر على الذهن لأول وهلة هي أن المجلات الأدبية عمل صحفى ، ما فى ذلك شك فهى تأخذ شكل المجلة الأسبوعية أو الشهرية ، وهى تصدر دوريا وبانتظام ، وبناء على ترخيص خاص يمر بنفس المراحل التى يمر بها ترخيص أى مجلة أخرى وب نفس الشروط وعلى نفس الأسس ، ثم هى تجعل من المجلة الأدبية صحافة ، ولكن هذا كله من الناحية الشكلية البحتة ، أما من الناحية الموضوعية فما هى الصحافة التى نريد أن ندرج تحتها الأعمال الفكرية والأدبية التى تجمعها فى دوريات نسميها بمجلات ؟ الصحافة فى أبسط تعريفاتها هى أهم وسائل الاعلام المعاصرة . معنى هذا أنها تقوم أولا وأخيرا على الأخبار ، فهى ما وجدت الا لتجمع الخبر من هنا وهناك ، ثم تذييعه على أكبر قدر ممكن من الناس ، اما خالصا لوجه الحقيقة أحيانا واما موجهها يحمل فى طياته الرأى والتوجيه والدعاية فى أغلب الأحيان ، وهذا الرأى يخرج المجلات الأدبية من الصحافة عموما ، ويرى أنها مطبوعات خاصة دورية لفئات معينة من الناس . وبرغم التعارض والخلاف بين رأى الدكتور شكرى ورأى الأستاذ فاروق فانهما لا يجيبان عندى اجابة محددة وتعريفية للسؤال وهو : ما المجلة الأدبية؟

محاولة لتحديد المفهوم :

ووضع قاعدة لتحديد مفهوم المجلة الأدبية كاصطلاح فى علم الصحافة لا يحتاج فى نظرى الى تعريف المجلة وتعريف الأدب ثم الخروج من التعريفين بالتعريف المركب الجديد وهو المجلة الأدبية . الأمر أيسر من ذلك وأبسط . ولنبدأ بتقسيم المجلات من حيث فترات

الصدور ومن حيث المادة التحريرية ، انها من حيث الفترات الزمنية للصدور : مجلات أسبوعية ونصف شهرية وشهرية وفصلية ونصف سنوية وسنوية ، هذا ما لم يكن هناك خلل في مواقيت الصدور . والمجلات من حيث المادة التحريرية اما عامة تخاطب القراء جميعا واما متخصصة ، والتخصص في المجلات وفقا للمعلومة ومثاله المجلات الاقتصادية ، والفنية ، والأدبية ، والزراعية وهكذا ، وفقا للاهتمامات وتخصص المخاطب ومثال ذلك مجلات الشباب ، والعمال ، والطلبة والمهندسين والمعلمين وهكذا . . ومن البديهي أن التخصص في المعلومة يجلب تخصصا من القراء والتخصص في الاهتمامات يوجب تخصصا في المادة التي تتناولها المجلة .

المجلة الأدبية هي المجلة التي يكون للأدب على صفحاتها أوفر نصيب بصورة كمية أو كيفية ، بمعنى أن تكون الغلبة للأدب في المساحة المنشورة أو يكون الاهتمام الأول للأدب فيما تتناوله وتنشره ، ان فكرة الأدب الخالص لا يمكن أن تتحقق في مجلة لأن عملية النشر الصحفى تتطلب التنوع ، وارضاء أكبر عدد من القراء حتى لو كانت مخاطب فئة معينة وعينة مختارة أو جمهورا خاصا من القراء . مثال ذلك أن مجلة المهندسين التي تصدرها نقابة المهندسين تنشر شعرا في بعض أعدادها ومجلة العمال التي يصدرها اتحاد العمال تنشر أخبار السينما والمسرح . فكرة الأدب الخالص لا يمكن أن تتحقق الا في الكتاب . ولكن المجلة الأدبية هي ما غلب عليها الأدب كما أو كيفا . وان كان من البديهي أيضا أن الكم والكيف مرتبطان . ولكى أوضح رأيى فان ما أقصده أن يكون الاهتمام في المجلة على أية صورة هو الأدب ، فاذا افترضنا نظريا أن مجلة لا تنشر على صفحاتها مقالا واحدا أو قصة أو قصيدة وأن ما تنشره هو أخبار الكتب وأخبار الأدباء وأخبار المحاضرات والندوات والجمعيات الأدبية ، هي — في رأيى — مجلة أدبية . كذلك كل مجلة تختص بجنس أو فرع أو لون من الأدب كالقصة أو الشعر ، هي مجلة أدبية . المجلة الأدبية اذن هي اصطلاح

يقصد به المجلة التى تعنى بالأدب فى المحل الأول • ولكن تبقى ملاحظتان لابد من وضعهما موضع الاعتبار فى تحديد اصطلاح المجلة وفى تحديد مفهوم الثقافة ، لأن الخلط فى تعريف المجلة الأدبية يأتى من هذين البابين ، الملاحظة الأولى أو الباب الأول هو ضرورة التأكيد على أن المجلة دورية تمثل عملا صحفيا بكل ما يتطلبه العمل الصحفى من عناصر ، وما يقتضيه من التزامات وما يفرضه العرف الصحفى من عمومية واتصال مباشر بجماهير القراء • ولابد لهذا العمل الصحفى أن يتوافر فيه شرط النية والقصد الصحفى ، وليس مجرد النشر والصدور • وترتبط على ذلك ليست مضابط البرلمانات أو تقارير النشاط السنوى للهيئات الثقافية أو ما شابهها مجلات • حتى لو اتخذت لنفسها عنوان مجلة وانتظمت فى الصدور • ان التسمية الأوفق والأكثر ملاءمة لمثل هذه الدوريات هى النشرة (١٤) •

الملاحظة الثانية أو الباب الثانى الذى يلج منه الخلط فى تعريف المجلة الأدبية هو ضرورة تحديد مفهوم الثقافة • وأول ما ينبغى الإغناء به فى هذا الصدد هو أن كل صحيفة هى ثقافة بوجه عام ، فالجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية العامة والمتخصصة كلها تشترك فى المصفة الثقافية ، ولكن الأمر ليس بهذا اليسر مع المجلات الأدبية بصفة عامة • ولنقف أمام مفهوم الثقافة بوجه عام (١٥) لتحديد مصطلح عربى معاصر لكلمة الثقافة •

معنى الثقافة :

يتداخل مفهوم الثقافة مع الحضارة ومع الدين والعلم والتربية والاعلام وغير ذلك • ويختلف تفسير الأنظمة السياسية لمعنى الثقافة وارتباطها أو انعزالها الطبقي • ولكل جانب من الجوانب المتعلقة بالثقافة اندراسة التى تكتشفه وتستقصيه وهى فى مجموعها لا تعنينا فى هذا المجال الا أن نستخلص من مجرد الوقوف أمامها مصطلحا عربيا لكلمة

الثقافة وهو في رأيي : « الثقافة تعبير عن الفكر الانساني وتنمية لهذا الفكر بمختلف الوسائل المتاحة في المجتمع » •

ان هذا المفهوم الواسع لمعنى الثقافة يبعدنا عن الخلط واللبس بين المجلة الأدبية والمجلة الثقافية • بل حتى لا يجيز لنا أن نقول مجلة ثقافية لأن كل مجلة هي ثقافية بمعنى عام •

المراجع

- ١ — خليل صابات : الصحافة رسالة واستعداد وفن وعام — دار المعارف — الطبعة الثانية — ص ١٣ ، ١٤ .
- ٢ — أديب مروة : الصحافة العربية — نشأتها وتطورها — دار مكتبة الحياة — بيروت — الطبعة الأولى ، ١٩٦١ ، ص ١٥ .
- ٣ — في لسان العرب لابن منظور ص ٩٠ :

« وخيل جريدة لا رجالة فيها ويقال : ندب القائد جريدة من الخيل اذا لم ينهض معهم راجلا ، قال الاحمص : الجريدة التي جردها من الصغار . . قال أبو مالك : الجريدة الجماعة من الخيل » وفي صفحة ٩١ :

« الجريدة سعة طويلة رطبة . قال الفارسي هي رطبة سعة ويابسة جريدة . وقيل الجريدة للنخلة كالقضيبي للشجرة ، وذهب بعضهم الى اشتقاق الجريدة فقال هي السعة التي تقشر من خوصها كما يقشر القضيبي من ورقه . والجمع جريد وجرائد . . قال ابن سيده : والصحيح أن الجريد جمع جريدة كشمير وشميرة .

حديث عمر : ائتنى بجريدة ، وفي الحديث : « كتب القرآن في جرائد » جمع جريدة . قال الأحمص : هو الجريد عند أهل الحجاز واحدته جريدة وهو الخوص والجردان — قال الجوهرى الجريد الذى يجرد عنه الخوص ولا يسمى جريدا ما دام عليه الخوص ، وانما يسمى سعة — لسان العرب للعلامة ابن الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الافريقى المصرى — الجزء الرابع — الطبعة الاولى — المطبعة الأميرية ببولاق مصر المعزية سنة ١٣٠٠ هجرية — صفحة ٩٠ و صفحة ٩١ .

ويذكر أديب مروة في كتابه الصحافة العربية نشأتها وتطورها أن أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ — ١٨٨٨) استعمل لفظة جريدة بدلا من صحيفة وان لفظة جريدة مأخوذة عن الجرائد أى قضبان النخل المجردة من خوصها . وانه قد جرت العادة عند العرب بعد الاسلام أن تكتب بعض العبارات والآيات القرآنية على قضبان النخل عند دفن الميت ، وتوضع هذه الجرائد المكتوبة في قبره وما تزال هذه العادة سارية عند المسلمين الى يومنا هذا ومن هنا كانت التسمية مجازية بمعنى أن الجريدة هي ما يكتب عليها ، هذا هو ما أورده أديب مروة . وهو في رأى تفسير بعيد عن الواقع لأن الجريد كان يستخدم في الكتابة عند العرب في الجاهلية وفي الاسلام وانه كان ضمن ما كتب عليه آيات القرآن كالعظام والجلود عند نزول الوحي .

= ثم ان جمهور المسلمين لا يدفن مع الميت شيئا سواء في القدم او في ايامنا هذه . ولكنهم يضعونه فوق القبر كما توضع باقات في معظم بلدان العالم . وفي بعض الأحيان يضعون زهورا حولها سعف من النخيل في مصر .

٤ — يعبر في البلدان العربية عن الدورية اليومية بالفاظ « جازيت » Gazette و « جورنال » Journal الفرنسيين ، « ونيوز بيبر » News Paper الانجليزية « وزايتنج » Zeitung الالمانية و « جازيتا » الايطالية . وعن الدورية الاسبوعية بالفاظ « ريفيو » Revoe الفرنسية و « ريفيو » Review وماجزين Magazine الانجليزيتين ، و « زايتكريفت » Zeitschrift الالمانية وريفستا Rivista الايطالية . ويتراوح المعنى عند التعبير عن الدورية اليومية بين اعتبار الزمان في كلمتي جورنال Journal وزايتنج Zeitung والاولى مشتقة من كلمة « جور » Jour (النهار أو اليوم) ، والثانية مشتقة من كلمة Zeit أى الوقت ، واعتبار اذاعة الخبر في كلمة نيوز بيبر News Paper ، واعتبار الرواية السريعة في كلمتي « جازيت » Gazette و « جازيتا » Gazette وان كان الأخذ التاريخي لهذه الكلمة Gazette يرجع الى أنها كانت اسما لقطعة العملة الصغيرة التى كانت تباع بها الدورية الاولى التى صدرت بمدينة البندقية في عام ١٥٠٦ .

(د. محمود عزمى — محاضرات بمعهد الصحافة عام ١٩٤٠ بجامعة القاهرة) .

٥ — محمود عزمى : محاضرات بمعهد الصحافة بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٤٠ .

٦ — محمد مهدى علام — خطبة بمجمع اللغة العربية بالجيزة بتاريخ ٣١ يناير سنة ١٩٦٨ .

٧ — شكرى فيصل — الصحافة الادبية وجهة جديدة في دراسة الادب المعاصر وتاريخه — معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٦٠ .

٨ — محمد مهدى علام : خطبة بمجمع اللغة العربية بالجيزة بتاريخ ٣١ يناير سنة ١٩٦٨ .

٩ — في لسان العرب :

« والمجلة صحيفة يكتب فيها قال ابن سيده : والمجلة الصحيفة فيها الحكمة كذلك روى بيت النابغة :

مجلتهم ذات الاله ودينهم قويم فما يرجون ؟ خير العواقب

يريد الصحيفة لانهم كانوا نصارى فعنى الانجيل قال ابو عبيده كل كتاب عند العرب مجلة وفي حديث بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لعل الذى معك مثل الذى معى ؟ فقال =

= وما الذى معك ؟ قال مجلة لقمان . كل كتاب عند العرب مجلة ، يريد كتابا فيه حكمة لقمان ، ومنه حديث انس « القى الينا مجال » هى جمع (لسان العرب) للعلامة ابي الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم المعروف بابن منظور الافريقى المصرى — الطبعة الاولى — المطبعة الاميرية ببولاق مصر المعزية سنة ١٣٠٢ هجرية — صفحة ١٢٧ .

١٠ — شكرى فيصل : الصحافة الادبية وجهة جديدة فى دراسة الادب المعاصر وتاريخه — معهد الدراسات العربية العمالية — ١٩٦٠ — صفحة ٤٠ ، ٤١ .

١١ — شكرى فيصل : الصحافة الادبية وجهة جديدة فى دراسة الادب المعاصر وتاريخه — معهد الدراسات العربية العالية — ١٩٦٠ — صفحة ٤٠ ، ٤١ .

١٢ — محمد الصادق عفيفى : الصحافة الادبية واثرها فى تطور الادب الحديث بالمغرب الأقصى رسالة حصل بها على الدكتوراه فى الادب من كلية دار العلوم — قسم الدراسات الادبية — جامعة القاهرة — مكتبة جامعة القاهرة برقم ٦٥٧ صفحة ١٥٢ .

١٣ — فاروق خورشيد : بين الادب والصحافة — الطبعة الاولى . الدار المصرية للنشر سنة ١٩٦١ صفحات ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ .

١٤ — ان مجلة مجمع اللغة العربية — فى رأى — نشرة وجريدة الوقائع الرسمية فى صورتها الراهنة فى رأى نشرة وكذلك ما تصدره المؤسسات والهيئات من مجلات .

١٥ — فى مختار الصحاح ثقف الرجل من باب ظرف صار حائقا خفيفا فهو ثقف مثل ضخم ومنه المثاقفة ، وفى مختار الصحاح ايضا ان الثقاف ما تسوى به الرماح ، وتثقيفها تسويتها ، وفى لسان العرب ثقف الرجل صار حائقا فطنا .

ومن ذلك نرى أن كلمة ثقافة فى اللغة العربية مجاز مأخوذ من تثقيف الرمح أى تسويته .

ومن الشعر العربى القديم قول ابن دريد : والشيخ ان قومته من زيغه لم يقف التثقيف منه ما انحنى ، التثقيف بمعنى التهذيب والتقويم الخلقى .

وفى اللغة الانجليزية نجد أن معنى الثقافة فى الكلمة Culture معنى مجازى انتقلت اليه الكلمة من المعنى الحسى الاصلى ، وهو معنى الزراعة أو التربة المسادية . ولهذا تدخل كلمة Culture فى تركيب كلمة الزراعة فى اللغة الانجليزية Agriculture .

(د. شكري محمد عياد — ملاحظات نحو تعريف الثقافة —
تأليف ت.س اليوت — وزارة الثقافة والارشاد القومي — المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر — مطبعة مصر
صفحة ٢٣) ويشرح القاموس الفرنسى Larousse

كلمة ثقافة Culture بأنها مجموع المعارف المكتسبة من تعلم ومعرفة.
ويرى الدكتور عبد الحميد يونس أن الثقافة هي المجال الاجتماعى
لجميع الأفراد فى قومية من القوميات أو فى وطن من الأوطان .
(عبد الحميد يونس — فن الاذاعة — أثر الاذاعة فى المجتمع — مركز
التربية الأساسية فى العالم العربى بـرس الليان ج . ع . م .
دار المعارف ١٩٥٨ صفحة ١١) ويرى محمود أمين العالم أن الثقافة
كتعبير فكرى أو أدبى أو فنى أو كطريقة خاصة للحياة انها هي
فى الحقيقة انعكاس للعمل الاجتماعى الذى يبذله شعب من الشعوب
يكافه فئاته وطوائفه ومظهر لما يتضمنه هذا العمل الاجتماعى
من علاقات متشابهة ، وجهود مبذولة ، واتجاهات ، فالأساس الذى
تقوم عليه الثقافة اذن ليس شيئاً جامداً أو عقيدة محددة وانما هي
عملية لها عناصرها واتجاهها المتطور .

(محمود أمين العالم وعبد العظيم انيس — فى الثقافة المصرية —
دار الفكر الجديد — ١٩٥٥ — صفحة ١٨) .

الفصل الرابع

الصحيفة والاعلام الدولى

من المشكلات الأولى التى تواجه رجل الاعلام — وهو يتجه برسالته الاعلامية الى العالم الخارجى — مشكلة الحدود الجغرافية ، لذا تطالعنا كثيرا عناوين مثل « تليفزيون بغير حدود جغرافية » أو « مدرسة على الهواء » بغير حدود اقليمية أو ما شابه ذلك من العناوين التى تؤكد تفوق الصحافة المرئية والمسموعة بوجه خاص على الصحافة المكتوبة فى اجتياز الحدود والسعى فى الآفاق .

ويتجه فكر رجل الاعلام حينما يخاطب جماهير خارج وطنه أو يسعى الى التأثير فى رأى العام الدولى الى الاذاعة كوسيلة أولى ، ثم الى غيرها من وسائل الاعلام الدولى بدءا من النشرة التى توزعها السفارات ومراكز الاعلام الخارجى الى جهود مؤسسات العلاقات العامة ذات النشاط الدولى .

ويمكن القول بأن أهمية الاعلام الدولى تتزايد يوما بعد يوم فى عالمنا المعاصر الذى يتجه الى العالمية ، وإلى ازدياد تأثير الاعلام الدولى فى المجتمعات المحلية . ونلاحظ ذلك فى توصيات معظم مؤتمرات الاعلام التى توصى بدعم أجهزة الاعلام الخارجى بما يجعلها قادرة على المتابعة واللاحاق بالعالم المسرع الخطى . والتى توصى بايجاد قنوات دائمة ومستمرة مع جمعيات الصداقة فى أنحاء العالم بما يخدم سياسة الدولة عن طريق الاعلام الخارجى والاهتمام بالمغتربين والدارسين باعتبارهم سفراء بلادهم وتوثيق الصلات بهم . ولكن النظرة التقليدية لوسائل الاعلام الدولى تبعد عن أنظار مثل تلك المؤتمرات المتخصصة دور الصحيفة وليس أدل على ذلك من امعان النظر

في تلك التوصية الصادرة من مؤتمر عربى للثقافة والاعلام في مارس ١٩٧٨ والتي تقول « يوصى المؤتمر بالتوسع في سياسة التبادل في مجال الانتاج التليفزيونى مع مختلف دول العالم لما لذلك من أثر فعال على تعريف شعوب العالم بالشعب والعكس ، وتوثيق الصداقة بين الشعوب ويوصى المؤتمر باستخدام الأقمار الصناعية في ربط المشاهد بالأحداث العالمية وفي نقل الأحداث الهامة من وإلى العالم » .

ان النظر الى الاذاعة كوسيلة أولى في مجال الاعلام الدولى ، أو حتى قصر النظر على الوسائل التقليدية من وسائل الاعلام الدولى ، لم يعد كافيا في هذا العصر ، ولعل السينما أقرب مثل لدور وسائل اعلامية نألفها ونعايشها ولا نقدر أثرها الدولى الخطير ، وعلى المستوى العربى فان أسبوع الفيلم العربى الذى عرض في باريس في ٢٧ مارس ١٩٧٧ أكد أن السينما لها دور في الاعلام الدولى . ان هذا الأسبوع الذى قدم أكثر من مائة فيلم روائى وقصير وريپورتاجات سينمائية شد أنظار رجل الشارع الفرنسى ، وجعل الصحافة تتحدث عن العرب بغير ماتعودته . وأبرزت السينما العربية — للمشاهد الفرنسى — أشياء عند العرب غير ركوب الجمال أو رعى الشاة أو ليالى ألف ليلة وليلة . وأدرك المشاهد العادى أن هناك أشياء جديدة وقضايا اجتماعية يعيشها العرب تمثل الجديد المتوثب للمتقدم وصراعه مع القديم المتخلف .

والمرح كوسيلة اعلام يؤدى دورا في الاعلام الدولى قد لا يبدو من النظرة العجلى واضحا . ان تعبير أحد أساتذة المسرح الأوربيين (١) بأن تأثير المسرح مستحيل حصره في مكانه وزمانه تعبير صحيح ، ويفسر الأستاذ الأوربى فكرته تفسيرا منطقيا حيث يرى أن الأدب المسرحى أبعد بكثير من أن يكون مسألة تخص شعبا من الشعوب فكل شعب يريد من خلال مسرحياته أن يكون له صوت في الساحة العالمية في صورة كلمة تلقى في اجتماع مائدة مستديرة . وليس ذلك — على حد رأى

(١) ميلكوش هابى : استاذ بجامعة فلورنسا وكاتب مسرحى ، أنظر جريدة الاخبار ١٩٧٧/٤/٢٨ .

الأستاذ — مجرد نتيجة لمطامع شخصية للمؤلف دائما لأن الفن المسرحي يحمل في جوهر تكوينه تلك الرغبة في التوسع وذلك التلهف على أداء رسالته التي تشمل بصورة مباشرة البشرية بأسرها • ومن هنا تتبع خصائص الأعمال المسرحية وهي استعالة حصر تأثيرها في المكان والزمان •

الصحيفة :

وبرغم الأهمية الخاصة لمختلف وسائل الاعلام الدولي المتخصصة فان الحقائق تؤكد أن الصحافة المكتوبة — وعلى وجه التحديد الجرائد والمجلات — ما زالت تحتفظ بمكانتها المرموقة بين مختلف وسائل الاعلام في المجال الخارجي ، وانها لم تفقد سحرها القديم بسبب المخترعات الحديثة • بل انها أفادت من التكنولوجيا المستخدمة في وسائل الاعلام ليبرز دورها بـروزا جديدا في الاعلام الدولي • سيقصر حديثنا اذن على الجرائد والمجلات كوسيلة اعلام في المجال الدولي • والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو : ما الملامح الخاصة بالتحرير والاعلان والتوزيع التي تتلاءم مع دور الجريدة والمجلة كوسيلة اعلام دولي ؟ ثم ماذا يمكن أن نخلص اليه من امكان انشاء مؤسسة عربية تخاطب الرأي العام العالمي ويصبح لها جريدة أو أكثر أو مجلة أو أكثر ذات طابع دولي وثقل دولي ، تقدم للرأي العام الدولي صورة حقيقية للانسان العربي متطورة ومعاصرة ؟

اللامح الخاصة :

عندما نبدأ الحديث عن الملامح الخاصة بالتحرير فاننا نقف أمام سبيلين : هما الطبعة الخاصة بالتوزيع الخارجي ثم الصحيفة الخاصة بالاعلام الدولي التي تصدر خارج الحدود وكلا السبيلين يحمل نفس السمات وان اختلفا في الشكل •

ان أول ما ينبغي أن نذكره في الحديث عن الملامح الخاصة بالتحرير لصحيفة تسعى لمخاطبة القارئ الدولي هو التركيز على القضايا

الدولية ولكن من وجهة نظر تتلاءم مع سياسة الصحيفة لا عقلية
المخاطب في نفس الوقت • ان القارئ الدولي يمثل المستوى المرتفع
ثقافيا حتى داخل مجتمعه المتقدم ، والخيط الرفيع الذى يحترس منه
المحرر دائما في مثل هذه الصحيفة هو ألا تكون موضوعاته من أخبار
وأحاديث وتحقيقات ومقال وريپورتاجات بغير طعم ولا لون ولا رائحة ،
وفي نفس الوقت ألا يقدم بضاعته التحريرية كأنها اعلانات عن وطنه
وآثاره وما شابه ذلك ، أو دعاية سافرة لسياسة بلده • والخيط الذى
يفصل بين مثل تلك المادة الرديئة وبين المادة ذات الملامح والشخصية
المستقلة ، ووجهة النظر الجديدة خيط رفيع • لذلك ينبغى أن تعالج
الصحيفة موضوعات تجذب القارئ الدولي ، وتجتهد في أن تلج
في دائرة اهتمامه •

ان الصحف التى تصدر باللغة العربية مثل « المختار » فانها تبرز
بصورة أو بأخرى ملامح التحرير الدولي ، أو بمعنى أكثر دقة
الموضوعات التى يمكن معالجتها تحريرا لتخاطب مجتمعا أوسع من
الدائرة المحلية أو القومية •

أما الاعلان في صحيفة لها طابع دولى فهو أمر عسير من جانب
وذو فرصة واسعة من جانب آخر ، ويتضح العسر في جلب الاعلانات
لمثل هذه الصحيفة اذ لابد من انشاء جهاز غير تقليدى لجلب الاعلانات
من دول وشركات متعددة ، أو الاعتماد على وكالات الاعلانات الكبرى
ذات الرصيد الضخم من الكفاءة والفاعلية والخبرة في هذا المجال •
ومما لا شك فيه أن هناك عددا وغيلا من السلع ذات طابع دولى ،
وعددا وغيلا من الشركات المتعددة الجنسيات ومجالات الاستثمار ••
ومن هنا تبرز الفرص الواسعة أمام الصحف الدولية في الفوز باعلانات
من نوع خاص •

أما عن التوزيع الدولي للصحيفة فلا بد أن ندرك من البداية أن
نفقات هذا التوزيع مرتفعة اذا قيسست بالتوزيع المحلى أو الوطنى •
ومن ثم يرتفع ثمن النسخة المباعة في الخارج وهو في رأى إجراء يجب

أن يؤخذ بحذر شديد ، لأن ارتفاع ثمن النسخة يفقدها الكثير من القراء الذين قد لا يقبلون على شراء مثل هذه الصحف الأجنبية زيادة على صحفهم التي تعودوا على قراءتها . وارتفاع نفقات التوزيع الخارجى ينبغى أن يعالج بزيادة حصيلة الاعلانات الخارجية وليس برفع ثمن النسخة المباعة فى الخارج .

وما يقال عن التوزيع يقال عن الاشتراكات التى ينبغى أن تكون مشجعة لاقبال القراء عليها بسبب صعوبة الحصول على الصحيفة الأجنبية فى سوق محلى يحفل بالصحف المحلية والوطنية والعالمية .

وتمثل صحيفة الأنترناشيونال هيرالد تريبيون اليومية الأمريكية التى تصدر باللغة الانجليزية فى باريس وفى لندن وفى نيس فى وقت واحد نموذجا فى التوزيع لصحيفة دولية . اننا بالقاء نظرة على احصائيات الطبع والتوزيع لصحيفة الأنترناشيونال هيرالد تريبيون فى عام ١٩٧٥ نجد أن جملة المطبوع ١٤٧٢٨١ نسخة وجملة المباع ١١٠٠٤٤ نسخة . وسوف نرى أنه لا يمكن تطبيق قاعدة بيع بغير مرتجعات أو تطبيق قاعدة عدم زيادة نسبة المرتجع عن ١٠٪ أو ١٥٪ من المطبوع — لماذا ؟ لأن السوق أوسع من أن يدرس دراسة مماثلة للسوق المحلى .

أما جغرافية التوزيع للأنترناشيونال هيرالد تريبيون وفق احصائيات عام ١٩٧٥ فهى على النحو التالى :

المنطقة أو البلد	النسخ	النسبة المئوية
١ — السوق المشتركة	٥٩٨٤٠	٥٤ر٤٪
فرنسا	٢٠٠٢١	١٨ر٢٪
ألمانيا	١٣١٩٨	١٢٪
المملكة المتحدة	١١٧٧٢	١٠ر٧٪
إيطاليا	٣٦٣٠	٣ر٣٪
بلجيكا ولكسمبورج	٦١٦١	٥ر٦٪

(م ٧ — الصحافة بين التاريخ والأدب)

٣٧٣٩	٣٢٤ %	النرويج
١١٠١	١ %	الدنمارك
٢١٨	٠٢ %	ايرلندا
١٩٩١٤	١٨١ %	٢ — بلدان اوروبية اخرى
٨٩١٢	٨١ %	سويسرا
٤٧٣٠	٤٣ %	اسبانيا
١٥٣٨	١٤ %	اليونان
١٤٣٠	١٣ %	النمسا
١١٠٢	١ %	السويد
١١٠٠	١ %	النرويج
٨٨٠	٠٨ %	البرتغال
٢٢٢	٠٢ %	فنلندا
٢٩٦٧	٢٧ %	٣ — اوربا الشرقية
١٣٦٤٣	١٢٤ %	٤ — شركات الطيران
٩٦٣٦٤	٨٧٦ %	اجمالى اوربا
٦١٩٠	٥٩ %	٥ — شمال افريقيا والشرق الاوسط
١٧٥١	٦٥ %	٦ — مناطق اخرى من العالم
١١٠٠٠٤	١٠٠ %	الاجمالى الكلى

أما عن تفاصيل التوزيع في منطقة الشرق الأوسط فانها على النحو التالى :

٢٥٠	البحرين	٨٠	الجزائر
١١٠٠١	ايران	٤٠٠	مصر
٦٠	الأردن	١٨٠٠	اسرائيل
١١١٠	لبنان	٢٥٠	الكويت
٤٥٠	المغرب	٥٠٠	ليبيا
١٢٠٠	السعودية	٣٥	قطر
٤٠	سوريا	٣٠	السودان
٥٠٠	تركيا	١٢٥	تونس
		٥٠٠	الامارات العربية

وبتحليل احصائيات التوزيع هذه نرى أنها من حيث الكم لا تمثل قدرا مهما في سوق الشرق الأوسط بصفة خاصة ولكن أهميتها ترجع الى التأثير في الصفوة التى قرأتها بصفة منتظمة في الأغلب والأعم . وهذه

الأمثلة في التحرير والاعلان والتوزيع تقودنا الى المزايا الخاصة
بالصحيفة كوسيلة للاعلام الدولى •

اهم المزايا :

لا يمكن حصر المزايا التى تحققها الصحيفة كوسيلة للاعلام الدولى
ولنضرب مثلين مختلفين لأهم تلك المزايا •

اولا : اذا كانت جهود وزارات الخارجية اعلاميا تتركز عادة
فى الاتصال بقيادة الرأى وزعماء الجماعات المؤثرة فان الصحيفة
تستطيع أن تخاطب جمهورا أوسع وبطريقة مباشرة وأن تقوم بما يشبه
دور الدبلوماسية الشعبية فى العصر الحديث •

ثانيا : انه بالنسبة لشعوب كثيرة من البلدان النامية لها جاليات
كبيرة خارج أوطانها ولها عمال وعلماء وفنيون مهاجرون فى الخارج
تصبح الصحيفة التى تصدر من أوطانهم لمخاطبة الرأى العام العالمى
زادا دائما لتفهم سياسة بلدانهم بما يتناسب مع ظروف حياتهم فى تلك
المجتمعات الغربية • واذا تحدثنا عن الواقع العربى نرى أن هجرة
أبناء المغرب العربى فى فرنسا مثلا تمثل جالية عربية كبيرة يمكن
الاستفادة بوجودها البشرى ماديا ومعنويا ويمكن أن تكون الى جانب
الوجود العربى العام فى أوربا سندا لصحيفة عربية دولية تختلف عن
الصحف العربية المهاجرة فى لندن وباريس ، والتى ما زالت تعكس
فى حقيقة الأمر وجهات نظر محلية • والفرق بين ادعاء العالمية فى التحرير
وتطبيق العالمية فارق لا يحتاج الى بحث أو برهان ، لأن القارئ العادى
يمكنه أن يفرق بسهولة بين صحيفة دولية التحرير وبين صحيفة مهاجرة
تعكس وجهة نظر محلية فى أغلب صفحاتها •

العرب وصحيفة دولية :

هل يستطيع العرب اصدار صحيفة أو مؤسسة تصدر عدة صحف
تتخصص فى مخاطبة الرأى العام العالمى غير نشرات وزارات الاعلام

والخارجية ، وان اتخذت شكل المجلة ، وأنفق عليها الكثير من ألوان الترف في الطباعة والتغليف ؟

اننى أعتقد أن العرب كحكومات لا يمكن لها حاليا اصدار مثل هذه الصحيفة لما بينها من احتكاكات وخلافات • ولكن العرب كمؤسسات صحفية ومثقفين يمكنهم بقليل من الشجاعة والاقدام أن يصدروا مثل هذه الصحيفة ويمكنهم أيضا اقناع بعض الأثرياء العرب بالتمويل •

وقد يطرح البعض سؤالاً جوهرياً — كيف يمكن لمثل هذه الصحيفة أن تعبر عن سياسات متناقضة هي سياسات العرب وعن اتجاهات متناقضة مشفوعة بعصبية تصل الى حد الاغتيال والتخريب والاحتكاكات العسكرية ؟

ان مثل هذه الصحيفة لأنها ستخاطب الراى العام العالمى يمكن لمجلس ادارة لها من العقلاء أن يجد من الأسباب المشتركة ومن الموضوعات البعيدة عن الحساسيات طريقاً لمخاطبة القارئ الدولى •

لقد كان يتردد فى تاريخنا الثقافى بين الحين والآخر موضوع الأدب العربى بين المحلية والعالمية • • وها نحن الآن نطرح فكرة صحيفة عربية أمام فرصة الآفاق الدولية ويوم يتحقق ذلك قد تصبح الأولى أمام أوسع أبواب حلها • ان هذا المثل خيط من عدة خيوط ، ولكنه خيط يشدنا الى واقع لا يمكن اغفاله ، وهو أن وحدة الثقافة العربية هى أقوى عناصر وحدة هذه الأمة وهنا يكمن السحر الذى يمكن تحويله الى واقع وحقيقة •

الفصل الخامس

كيف نفسر الرأى العام ؟

برز مصطلح الرأى العام مع بروز التجمعات السكانية والتجمعات العمالية أو ما يمكن تسميته بال جماهير الغفيرة .

وقسم جيمس برايس (١٨٣٨ - ١٩٢٣ م) مراحل الرأى الى من حالته اللاواعية والسلبية الى حالته الواعية والايجابية الى أربع مراحل هى مرحلة خضوع الرأى العام لارادة الحاكم ، فمرحلة نشوء نزاع تتم تسويته باستخدام القوة ، ثم مرحلة تسوية المنازعات بالالتجاء الى سيادة الغالبية عن طريق الانتخابات . وأخيرا مرحلة التوصل - اذا أمكن - الى تنظيم جديد من شأنه تقرير ارادة الشعب فى كل وقت .

وقد اختلف أساتذة الصحافة حول تعريف الرأى العام وتشعبت تعريفاته لدى علماء النفس والاجتماع والسياسة وذهب الدكتور أحمد سويلم العمرى الى القول بأن من الصعوبة تعريف الرأى العام تعريفا محكما دقيقا ، غير أنه يمكن تقريبه الى الذهن اذا اعتبرنا الرأى العام ظاهرة فكرية ناجمة عن الحشد الذهنى للجماعة التى ترتب عليها أقوى العلاقات الاجتماعية والنفسية للفرد ثم الجماعة ، وهى حركة اجتماعية تتأثر بما يأتى من الفرد فى اطار الجماعة ، وفى هذه الجماعة التى تلتئم فى كنف الرأى العام نجد فكرة معينة قد اختمرت فى نفوسهم كجماعة تتأثر بمؤثرات خارجية وعوامل ثقافية واقتصادية وتربوية وتتأثر - أيضا - بحياة الجماعة وموقف الفرد منها ومن هنا فان الرأى العام يتكون بوحداته ثم بجماعته وهو ديناميكى دائم الحركة والتبدل والتطور .

ومن خلال هذا التصور فان الدكتور العمري يعرف الرأى العام بأنه مجموع آراء الناس ووجهة نظرهم فى الحياة العامة • وفى اصرار الدولة وسعيها لاسعاد الناس • وفى وجوب أن تعمل الدولة أو الجماعات القومية أو الدولية فى علاج شتى المسائل والمشكلات التى يقاسى منها الفرد والجماعة ، ويعرف ماكينون الرأى العام بأنه تلك العاطفة — ازاء — موضوع معين — التى يرحب بها أكثر أعضاء الجماعة اطلاعا وزكاء وتمسكا بالأخلاق هذه العاطفة التى لا تلبث أن تنتشر ويعتنقها — تدريجيا — معظم الأشخاص الذين تتكون منهم جماعة متعلمة ذات مشاعر سوية فى دولة متحضرة ، ويقول س • هكولى : اذا شئنا أن ننظر الى الرأى العام — من حيث حقيقته — يجب أن نعتبره عملية حضرية لا مجرد حالة اتفاق حيال مسألة من مسائل وقتنا الراهن ، واذا استعرضنا أهم التعريفات الأخرى وجدناها تدور حول المحور الذى دارت عليه التعريفات السابقة •

فغرى فلويد ه • البورت يعرف الرأى العام بأنه تعبير صدر عن مجموعة كبيرة من الناس عما يرونه فى مسألة أو اقتراح واسع النطاق بحيث يمكن استدعاؤهم لهذا التعبير سواء كانوا مؤيدين أو معارضين • وتكون نسبتهم العددية كافية لاحداث تأثير ما بطريق مباشر أو غير مباشر • ويعرفه كلاريد كنج بأنه الحكم الذى تصل اليه الجماعة فى مسألة ذات بال • وذلك بعد مناقشات علنية ومستوفاة • أما البيج فيعرفه بأنه ثمرة تفاعل الأفكار فى أى وضع من أوضاع الجماعة التى تصدر عنها هذه الأفكار • ويضع الدكتور مختار التهامى تعريفا للرأى العام بأنه الرأى السائد بين أغلبية الشعب الواعية فى الفترة المعينة لقضية أو أكثر يحتدم فيها النقاش والجدل وتمس مصالح الأغلبية أو قيمها الانسانية مسا مباشرا •

والدكتور محمد عبد القادر حاتم بعد استعراضه عدة تعريفات حول الرأى العام انتهى الى وضع عدة قواعد عامة تحكم التعريف

الأقرب الى الدقة والشمول • من هذه القواعد أن الرأي العام هو الموقف الاختياري • وان الجماعة أقل من الجمهور ، وانها لا تشكل رأيا عاما جماهيريا • ويشترط لقيام الرأي العام الشعبى أن تكون كل الجماعات منطوية داخل الجمهور الواحد والا كان هناك أكثر من جمهور • وبالتالي كان هناك أكثر من رأى عام داخل الشعب الواحد ، وان الآراء التى تعرضها التنظيمات والهيئات ذات السلطة على الأفراد قهرا لا تشكل رأيا عاما مهما كانت درجة الاتفاق فى الآراء ، لأن هذا الاتفاق املاء ، وليس هناك ما يمكن تسميته — علميا — رأيا عاما ثابتا دائما • لأنه يشترط لقيامه أن يكون ناتجا عن حركة ديناميكية والا تحول الى عقيدة أو قيمة أو عادة •• ان رأى سلوك فى حصيلته معرفة الفرد • وهو لا يفرض فرضا • بل يشترط لقيامه أن يكون ظاهرا واضحا •

ويذهب الدكتور عبد اللطيف حمزة الى أن رأى العام هو الاتجاه الذى تتخذه الجماعة فى مسألة بعينها بعد بحث هذه المسألة من جميع وجوها بحثا علنيا بطرق الصحافة أو الاذاعة أو غيرها من وسائل الاعلام • وهو بذلك ليس نتيجة اندفاع عاطفى وليس بالضرورة انسياقا وراء العادات والتقاليد • وانما هو نتيجة تفكير سليم فى المصلحة التى تعود على المجموع • وأن التعبير عن رأى العام والسخط العام والاتجاه العام لا يكون الا فى جو من الحرية التامة ويفرق الدكتور حمزة بين رأى العام والسخط العام والاتجاه العام •

فالرأى العام هو ما يصل اليه المجتمع الواعى بعد تقليب وجهات النظر المختلفة والآراء المعارضة والسخط العام هو ما تصل اليه الجماهير بمجرد الاثارة والانفعال برجل واحد أو فكرة واحدة أو زاوية واحدة لا تكاد تسمح لغيرها من زوايا النظر الأخرى أن تظهر الى

جانبيها والاتجاه العام ما يكون نتيجة لاتفاق الجماهير على شيء معين ترى فيه صيانة تقاليدها أو الدفاع عن دينها أو المحافظة على تراثها •

كما اختلف الدارسون حول تحديد مفهوم الرأي العام فانهم اختلفوا — أيضا — حول أنواعه : فمنهم من ذهب الى تقسيمه الى ثلاثة أنواع :

(أ) الرأي العام المستنير : وهو رأى الطبقة المثقفة فى الأمة •
(ب) الرأي العام المسيطر : وهو رأى القادة والزعماء والحكومات •

(ج) الرأي العام المنقاد : وهو رأى متابعة السواد الأعظم من الشعب الذى لا يستطيع متابعة البحث أو الدرس •

ومن الباحثين من يقسم الرأى العام الى :

١ — الرأى العام الكلى : وهو ما يتصل بالدين والأخلاق والعادات والتقاليد • وهو يمتاز بالثبات والرسوخ ويشترك فيه السواد الأعظم من الناس •

٢ — الرأى العام المؤقت : وهو ما تمثله الأحزاب السياسية والهيئات العامة والخاصة وذلك عندما تسعى الى تحقيق هدف معين فى وقت معين •

٣ — الرأى العام اليومى وهو النوع المتقلب الذى تعتمد عليه الصحف اليومية •

ومن الباحثين من يقسم الرأى العام الى أربعة أقسام :

الأول : رأى الأغلبية أو الأقلية وهو رأى الجماعة حين تنقسم الى قسمين •

الثانى : رأى الأقليات مجتمعة وهو رأى الأقليات الكثيرة حين تتفق أحيانا على رأى معين فى ظروف معينة ولهدف معين •

الثالث : الرأى الساحق وكثيرا ما يكون نتيجة لاندفاع الشعب أو نتيجة لتكاسله فى بحث المشكلات العامة ولكن الشعب اذا وصل الى الرأى الساحق عن طريق البحث أو الدرس فانه يكون فى مثل هذه الحالة قد بلغ الذروة من الاستنارة والوعى ولكنه فى الواقع قلما يصل الى ذلك •

الرابع : الرأى العام الجامع وهو ما تجمع عليه الأمة ، ولا يكون ذلك فى الأعم الا فى الأمور التى ترتكز على ماضى الأمة وعاداتها ومعتقداتها • وهو ما سبق تسميته بالاتجاه العام •

وخلاصة القول أن الرأى العام يرتبط ارتباطا عضويا بالديمقراطية فبقدر ما يتاح من ديمقراطية فى مجتمع من المجتمعات بقدر ما تصدق التعريفات العلمية والمقاييس الدقيقة لقياس الرأى العام ومعرفته وسبر غوره • واذا كانت كافة التعريفات والتقسيمات السابقة للرأى العام تشرح بطريقة أكاديمية وتحليلية مصطلح الرأى العام وأقسامه فان النظرة الشمولية لمعنى الديمقراطية توجب علينا النظر فى مفهوم الديمقراطية المعاصر وارتباط ذلك بالرأى العام •

أن تجارب الديمقراطية المعاصرة واضحة فى نظامين بارزين وهناك نظام ثالث فيه ضبابية وتأرجح • ولكنه يختلف عن النظامين البارزين • أما النظام الأول فهو الديمقراطية الليبرالية أو الديمقراطية الرأسمالية التى نراها بطريقة حية فى أوروبا الغربية • أما النظام الثانى فهو الديمقراطية الاجتماعية وتقوم أساسا على فكرة تحرير رغيف الخبز من سيطرة الرأسمالية • لتتحرر تذكرة الانتخاب • وهذا النظام تلقاه فى البلدان الشيوعية ولكن بطرق متفاوتة ودرجات مختلفة •

وأهم ما يوجه من نقد للنظام الليبرالى المعاصر أنه لم يعد ليبراليا ، وانما أصبحت الاحتكارات هى التى تشكل جوهر النظام ونسيجه • أما أهم ما يوجه من نقد الى النظام الشيوعى فهو أنه قدم رغيف الخبز وكمم الأفواه بنسب ودرجات مختلفة •

أما النظام الثالث وهو خليط من النظامين السابقين • فهو ثمرة التجارب المريعة لبلدان العالم الثالث في البحث عن طريق ديمقراطي جديد بين ظروف دولية ومحلية بالغة التعقيد •

أين يقف مصطلح الرأي العام من كل هذه النظم والتجارب ؟

الواقع أن الرأي العام لا يبدو مطابقا للتعاريف والتقسيمات التي يسوقها الأكاديميون لأن الصدق لا يبدو في المجتمع واضحا في بعض الأحيان • ولأن وسائل الاعلام بما تقدمه من معلومات يتوقف عليها تكوين الرأي العام ومن ثم تصنيفه وأنواعه • لذلك ينبغي أن ننظر الى الرأي العام دائما في إطار المجتمع الذي يعكس هذا الرأي العام نظامه وحياته ومستوى الديمقراطية فيه • وإذا ضربنا بمصر الحديثة مثلا في مسيرة الرأي العام وكيف يتشكل وما هي العوامل المؤثرة فيه والمتأثرة به نجد ما يلي :

جذور الرأي العام في مصر الحديثة :

تمتد جذور الرأي العام في مصر الحديثة الى حملة نابليون بونابرت ، وما واكبها من اطلاق الرأي العام المصرى على العلوم الحديثة التي صحبت الحملة ، فان هذه اللامحات العلمية والحضارية التي جاءت مع الحملة كانت زادا للوجدان المصرى وأفقا جديدا شدد خياله وفكره •

وتقييم دور الحملة الفرنسية في اليقظة الفكرية المصرية يصطدم برأين مختلفين : يذهب أحدهما الى أن هذه الحملة كانت الناقوس الذى أيقظ المصريين من رقادهم بما صحبته الحملة من علماء ، ومطبعة • وبما أجرتة من تجارب ، وباشراكها علماء الأزهر فى الديوان وغير ذلك مما كان مجالا لاحتكاك العقلية المصرية الشرقية بالفكر الغربى • ورأى آخر يقول بأن مدة الحملة — وهى ثلاث سنوات — لا تستطيع أن تؤثر هذا التأثير وأن كل ما صاحب الحملة ، وكل ما صنعه الفرنسيون

لم يكن من أجل المصريين •• وأنهم حملوا تجاربهم ومطبعاتهم وعلماءهم معهم عند رحيلهم •

والواقع أنه يمكن المزاوجة بين الرأيين ، فالحملة الفرنسية وما صاحبها من زاد حضارى وان لم تكن من أجل المصريين ، فانها فتحت الأذهان نحو حياة جديدة شغلت رأى العام • ثم كان للجهود المصرية التى بذلت بعد الحملة فضل تثبيت هذه البذرة ، وفضل امدادها بالنماء لتستوى على عودها •

وعلى أية حال فان أهم الدوافع التى كانت سببا فى ظهور الرأى العام وتطوره يمكن أن نرجعها الى ما يلى :

١ — استبداد الحكام وفسادهم ، ولعل من المظاهر الصارخة لهذا الفساد السخرة والرشوة والضرائب الباهظة •

٢ — انتشار الثقافة والتعليم ، بانشاء المطبعة الأميرية عام ١٨٣٢ . وصدور جريدة الوقائع المصرية عام ١٨٢٨ • وانشاء عدد من المدارس ، وارسال عدد من البعثات الى أوربا ثم نشاط الحركة الفكرية بظهور جمسال الدين الأفغانى والامام محمد عبده وتلاميذهما • وكان نتيجة لذلك تكوين تجمعات شعبية تبحث عن طريق للإصلاح مثل تلك الجمعية التى تكونت فى الاسكندرية والتى دعت فى عام ١٨٧٩ الى انشاء بنك قومى لانقاذ البلاد من الاستبداد الأجنبى ، وتأليف هيئة شعبية باسم الجمعية الوطنية عام ١٨٧٨ وانشاء الجمعية الخيرية الاسلامية بمدينة الاسكندرية عام ١٨٧٨ أيضا بفضل جهود عبد الله النديم وأصدقائه • وجمعية المقاصد الاسلامية فى القاهرة وكان الامام محمد عبده من أعضائها •

٣ — ظهور الصحافة الشعبية وهى التى حملت على عاتقها تغذية الرأى العام والتفاعل معه والتأثير فيه والتأثر به • وقد كان دور الصحافة الشعبية الوطنية فى ذلك الوقت أقرب ما يكون الى العمل

السياسى الذى يهدف الى توجيه حركة الجماهير التلقائية تجاه القضايا الوطنية الى حركة منظمة لخدمة الأحداث الوطنية • أما الحركات الرسمية التى كانت استجابة للرأى العام فأولها : انشاء مجلس شورى النواب ، ثم محاولات الاصلاح فى الادارة والقضاء خصوصا فى حكومة نوبار ، كذلك صدور دستور ١٨٨٢ وهو الدستور الذى تمخضت عنه الثورة العرابية التى تعتبر فى حد ذاتها أعنف صورة للرأى العام وآخر مرحلة من مراحل القوة التى وصل اليها فى القرن التاسع عشر •

٤ — التدخل الأجنبى فى مصر ، وقد كان من آثاره ظهور المحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية • وصندوق الدين والمراقبة الثنائية والوزارة الأوروبية ، وما الى ذلك من الأحداث التى أثارت شعور المصريين ودفعتهم الى الثورة العرابية •

٥ — ظهور الطبقة البرجوازية المصرية واتساع قاعدتها ، وتحملها النصيب الأكبر من المسئولية فى النضال الوطنى •

هذه بصفة عامة جذور الرأى العام المصرى •• الذى بدت يقظته مفاجئة •

آثار اليقظة المفاجئة :

لقد كانت يقظة الرأى العام المصرى يقظة مفاجئة •• وبدأت اليقظة بأزمة •• لقد كان المجتمع المصرى أشبه بمريض قضى زمنا فى غرفة مغلقة واشتدت الحرارة داخل الغرفة المغلقة حتى كادت أنفاس المريض أن تختنق • وفجأة هبت عاصفة حطمت النوافذ والأبواب وتدفقت تيارات الهواء الباردة تلسع جسد المريض الذى ما زال يتصبب عرقا • لقد كان فى حاجة الى نسمة هواء •• فانطلق عليه أعصار فانشبت الحمى أظفارها فى الجسد المنهوك القوى •

هذا ما حدث لاجتماعنا تماما ، وكانت تجربة محفوفة بالمخاطر بينما كان المجتمع الأوربي قد سار في تطوره بنظام اجتاز الجسر بين عصر النهضة وبين أعقاب القرون الوسطى الى القرن التاسع عشر خطوة خطوة وتلاحقت مراحل التطور واحدة اثر الأخرى . أما نحن فقد كان كل شيء مفاجئاً لنا . كنا نعيش داخل ستار من الفولاذ فأنهار فجأة ، كنا قد انقطعنا عن العالم واعتزلنا أحواله خصوصاً بعد تحول التجارة من الشرق الى طريق رأس الرجاء الصالح فإذا نحن مطمع دول أوربا ومعبر الى مستعمراتها في الشرق والجنوب هبت علينا تيارات من الأفكار والآراء فلم تكن المرحلة التي وصلنا اليها في تطورها تؤهلنا لقبولها ، كانت أرواحنا ما زالت تعيش في آثار القرن الثالث عشر وان سرت في نواحيها المختلفة مظاهر القرن التاسع عشر ثم القرن العشرين . وكانت عقولنا تحاول أن تلحق بقافلة البشرية المتقدمة التي تخلفنا عنها خمسة قرون أو يزيد . . وكان الشوط مضنياً والسباق مسعوراً ومخيفاً .

ويرجع كتاب فلسفة الثورة عدم وجود رأى عام قوى متحد في مصر قبل الثورة الى هذا الحال ، لأن الفارق بين الفرد والفرد كبير بين الجيل والجيل شاسع . ويرى الرئيس الراحل أن شعبنا صنع معجزة فقد كان من الممكن أن تجرفه التيارات التي تدفقت عليه ، ولكنه صمد للزلازل ، ويقول : « صحيح أننا كدنا نفقد توازننا في بعض الظروف ولكننا بصفة عامة لم نقع على الأرض . ويضرب مثلاً بأسرة مصرية عادية من آلاف الأسر التي تعيش في القاهرة (قبل ثورة ١٩٥٢) الأب فلاح من صميم الريف والأم سيدة منحدره من أصل تركي وأبناء الأسرة في مدارس على النظام الانجليزي وفتياتها في مدارس على النظام الفرنسي - كل هذا بين روح القرن الثالث عشر ومظاهر القرن العشرين » .

سلسلة الأحداث واثرها في تطور الراى العام :

ان العلاقة الجدلية بين التاريخ وتطور الراى العام تؤكد التأثير المتبادل بينهما • وكما اختلفت الآراء حول تقييم دور الحملة الفرنسية، فان اختلافها حول عصر محمد على وأثره أكثر في الراى العام المصرى •

ان النهضة الاقتصادية والادارية التى دخلت مصر فى عهد محمد على أسهمت فى البناء الاقتصادى كثيرا ، ولكنها لم تسهم بنفس القدر فى البناء المعنوى للانسان المصرى • ويمكن القول بأن كل الانشاءات التى أقامها محمد على لم يكن لها تأثير كبير على الحياة الثقافية بما فى ذلك المدارس التى افتتحها • فقد كانت مهمتها تخريج موظفين للدواوين الجديدة • وكانت مناهجها عملية لدرجة لم تستطع معها أن تقدم شيئا للحياة الثقافية وقد أنشأ محمد على المطبعة الأميرية عام ١٨٢٢ ، وقدمت ٢٤٣ كتابا فى العشرين سنة الأولى من انشائها • كانت معظمها فى الشئون العسكرية والبحرية ولم يكن نصيب الأدب غير كتابين فقط • ومحمد على هو أول من قسم التعليم الى مدارس دينية وأخرى عامة تلك التى عاونت بحماس فيما بعد فى تقسيم الراى العام • ولكن الراى العام المصرى نما نموا سريعا عقب الاحتلال وما تبعه من كفاح وطنى •

ثورة ١٩١٩ :

مع اشتداد الحركة الوطنية وانطلاقتها الواسعة فى ثورة ١٩١٩ ، أصبح الراى العام عملاقا وأصبحت له بهذه الثورة قاعدة واسعة أكسبته قوة ونفوذا ، فلم يعد الراى العام قاصرا على كبار ضباط الجيش ، والبرجوازية المصرية الناشئة كما كان الحال أيام عرابى ، أو قاصرا على المثقفين والشبان كأيام مصطفى كامل • وانما أصبحت مشاركة الفلاحين فى ثورة ١٩١٩ سببا فى اتساع قاعدة الراى العام وقوته •

وقد انتشرت على ألسنة الناس بعد ذلك عبارات التكريم لسعد زغلول مثل قولهم ان في احراج سعد احراج للأمة ، لو رشح الوفد حجرا لانتخبناه ، الاحتلال على يد سعد خير من الاستقلال على يد عدلى . وبعد اعلان تصريح ٢٨ فبراير ورئاسة ثروت باشا للوزارة المصرية ، كان رأى العام المصرى مشغولا عن الرئيس الجديد بالزعيم المنفى الى (سيشل) وبحركة الاغتيالات لكبار الموظفين الانجليز : وللمصريين القرييين من الانجليز حتى أن ثروت نفسه تم اكتشاف محاولة لاغتياله .

ولقد أخذت وزارة « ثروت » من تلك الظروف وسيلة لمصادرة الحريات فمنعت الاجتماعات السياسية الا لمؤيديها ، وعطلت جريدة الأهالى نهائيا فى مايو سنة ١٩٢٢ وجريدة الأمة ثلاثة أشهر فى ٦ يوليو سنة ١٩٢٢ ، وعطلت جريدة (الليبرتية) نهائيا فى يوليو أيضا سنة ١٩٢٢ كما تم تعطيل جريدة « الأهرام » ثلاثة أيام . ومن الغريب أنها أصدرت تعليمات للصحف بعدم ذكر اسم سعد زغلول وزملائه المنفيين فى مقالاتها أو أخبارها . وهو شطط وتعسف يزيد عن الحد .

وذهبت وزارة « ثروت » فى نفس العام لتجىء وزارة « نسيم باشا » رئيس الديوان الملكى وكانت وزارة ضعيفة هزيلة فأخذ الرأى العام يتبرم من عدم اهتمام هذه الوزارة باطلاق سراح سعد وصحبه . فلم يجد أمامه الا تجديد حوادث اغتيال البريطلانيين ، فاستقالت هذه الوزارة بعد حوالى شهرين بعد أن حاولت مسح الدستور وتتابعات الأحداث بنجاح الثورة ورجوع سعد زغلول .

وقد كان للأدب اسهام كبير فى تغذية الرأى العام . فقد شارك الشعر فى الثورة سنة ١٩١٩ ، فهذا حافظ ابراهيم يصف قواد الجيش الانجليزى الذين ضربوا المظاهرة النسائية التى خرجت فى ١٩ مارس ١٩١٩ بأسلوب لاذع ساخر فيقول :

فليهنأ الجيش الفخور بنصره وبكسرهن
فكأنما الألمان قد لبسوا البراقع بينهم
وعندما مات سعد زغلول سنة ١٩٢٧ رثاه حافظ بقصيدة قال فيها
يخاطب الانجليز :

وأنتيم بالحائمت ترامي تحمل الموت جاثما والخرابا
وملأتم جوانب النيل وعدا ووعيدا ورحمة وعذابا
هل ظفرتم منا بقلب أبى أو رأيتم منا اليكم مثابا ؟
فاجمعوا كيدكم وورعوا حماها ان عند العرين أسدا غضابا

كما كان للأدب دور في إبراز المشاكل الاجتماعية والدعوة الى
العدل الاجتماعى بما يؤكد أن سلسلة الرأى العام متصلة الحلقات .
ويرى « محمد عبد الغنى حسن » فى كتابه « الفلاح فى الأدب العربى »
ان حركة تصوير بؤس الفلاح العربى يمكن ملاحظتها فى الشعر الحديث
بعد عام ١٩٣٠ فحسبما يرى المؤلف أن أعوام ما بعد الحرب العالمية
الأولى لم يرتفع فيها صوت بالشكوى من سوء حال الفلاح بسبب
الرخاء الذى واكب ارتفاع أسعار القطن نتيجة للحرب ، فقد غطى
امتلاء جيبه بالنقود على بؤس عيشه وانحطاط مستواه الاجتماعى .

وقد نشر الشاعر أحمد محرم قصيدة فى صيف ١٩٣٣ يصور فيها
بؤس الفلاح بقوله :

هل سألت عن الفلاح ما صنعت
به الخطوب وهل أبقت له جلدا ؟
جفت موارده القصوى فطاح به
ما ذاق من عنت الأيسام أو وردا
ان يطلب المال تعجزه وسائله
وان يصبه يجده صاحبا فكدا

عن الكنانة ان اودى به حدث
فلن ترى بعده عوننا ولا عضدا
ان الذى كان من اعداها نفرا
ما أنفك يصفر حتى جف أو جهدا
ويتهكم شاعر شعبى مصرى على « المحسوبية » فيقول :
لا أبالى ازاء نفع الأقارب والأصهار
أجف النيل أم ذوت الثمار
التمهيد لثورة يوليو ١٩٥٢ :

ولقد حمل الأدب فى هذه الفترة التى نتعرض لها بالدراسة
والبحث بذور الثورة التى قادتها الطليعة فى يوليو ١٩٥٢ ، ولم يتخلف
واحد من كبار الأدباء فى كتاباته عن الاسهام فى محاربة الظلم وتأييد
قضية الحرية والاستقلال والعدل ، بل ان بعض الأدباء لم يكتف بالكتابة
فقد دفعته الظروف الى الوقوف أمام الطغيان وجها لوجه ومثال ذلك
قول العقاد المشهور فى البرلمان بأن الشعب على استعداد لأن يسحق
أكبر رأس فى البلد يقف أمام الدستور . ودبرت له تهمة العيب فى الذات
الملكية وزج به فى السجن عام ١٩٣٠ وبقيت كلمته المشهورة درة
فى تاريخ النضال الوطنى .

واذا ضربنا الأمثلة على بذور الثورة فى كتابات الأدباء الكبار
فى هذه الفترة ، فان أول النماذج وأوسعها حظا من الشهرة قصة
« عودة الروح » لتوفيق الحكيم . تلك القصة التى رأى فيها النقاد
أول الأمر قصة حب عادية وذهبوا الى أنها قصة الحب الأول لتوفيق
الحكيم ثم سرعان ما تبين لكثير منهم أن عودة الروح هى قصة مصر
فى البحث عن فارسها وبطلها الموعود . كما رأى بعض النقاد أنها
تكشف الصراع الدائر بين الفلاحين والاقطاعيين الأتراك وبين المصريين
والانجليز وأنها تقود الوجدان الى أهمية الوحدة الوطنية . فخصيات
القصة يجمعها المرض والحب والسجن .
(م ٨ — الصحافة بين التاريخ والأدب)

ونموذج آخر في صورة فنية اختار لها الدكتور ط. ه. حسين عنوانا
« الغانيات » في كتابه « جنة الحيوان » :

- من أين أقبلت يا ابنتى ؟
- من حيث لا تبلغ الظنون ..
- ماذا تريدان يا ابنتى ؟
- أريد ما لا تقدران ..
- كيف تقولين يا ابنتى ؟
- أقول ما لا تصدقون ..
- أسرفت في الرمز يا ابنتى ..
- بل ما لكم كيف تحكمون .

بأين ؟ وماذا ؟ وكيف ؟ يبدأ الشيخ في لوحة الدكتور طه حسين
سؤال الفتاة الجميلة والرقيقة التي بدت له في غصون الشجر على ذلك
النحو ، ثم لا يفهم من حديثها شيئا . كان الشيخ في طريقه من القرية
الى قصر الباشا الحبيب الى نفسه ، والذي يستشير فيما يعرض له من
الأمور ، وكانت الشمس — كما يقول الدكتور طه حسين — قد مولت
« الأمل الخائب الكذوب وظلمة الليل حلت كاليأس اذ يدب في القلوب . »
وينكر الشيخ نفسه ويخشى أن يكون قد أصابه الجنون ، أو أن هذه
الجنية التي تحاوره ويحاورها ستقوده حتما الى الجنون . ويغيب الشيخ
عن الباشا يوما ولكنه عندما يذهب اليه في اليوم التالي يخبره الباشا
بقلق شديد أنه رأى مثلما رأى الشيخ وأنه سألها فلم يسمع منها
الا الأجوبة الغامضة وخشى الباشا الجنون فاستدعى الطبيب ولكن
الطبيب لم ينفعه شيء . فلما ملأ الخوف قلبه ترك القرية الى القاهرة ،
ولكنه وجد أهل المصانع كلهم يتحدثون هذا الحديث . وشاع في
النفوس أمل لا حد له وشاع في النفوس يأس لا حد له : وأصبح

الثمانية عشر مليوناً من المصريين لكل واحد منهم فتاة حسناء حازمة ، وعندما يزداد قلق الباشا ويسأل عن اسمها تقول ساخرة ان اسمها العدالة الاجتماعية •

هذه نماذج من كتابات شيوخ الأدب ، فإذا استعرضنا بعض النماذج لشعارات الشباب التي كانت انعكاساً لقاعدة عريضة من الرأي العام فإننا نجد ذلك في كتابات وفكر القيادة التي ظهرت على مسرح العمل الوطنى عام ١٩٤٦ من اللجنة الوطنية للعمال والطلبة منها :

* الحكومة تريد الأغنياء غنى والفقراء فقرا • ان جانباً ضخماً من ثروة مصر تحتكرها أقلية من الناس ، ولا يبقى لغالبية الشعب غير المرض والفقير والجهل ، وان الباشوات الرأسماليين يشتركون في مجالس ادارة عدة شركات بلغ استغلالها للشعب حداً كبيراً ولا هدف لها غير توفير الربح الفاحش لحفنة من كبار الرأسماليين •

* ان جموع الأمة عاقدة العزم على تغيير الأوضاع الاجتماعية •
* ان القوانين في معظمها لمصلحة الرأسمالية •

* الناس سواسية كأسنان المشط ، وان في هجرة الرسول الى المدينة معنى الثورة على الجوع والفقير •

* يجب على الطبقات الشعبية أن تقوم اليوم بالدور الرئيسى في الحركات الوطنية لأن الطبقات الحاكمة الحالية تتعاون مع الاستعمار •

* ان سوء توزيع الثروة القومية يتطلب اعادة توزيع الأرض ومنحها للفلاحين في شكل ملكيات صغيرة ، وانشاء نظام تعاونى •

* أن الشرق يتحرر لا بالمهانة والاستجداء ولكن بالعنف
والثورة .. وفي مصر ثورة تأخذ نيرانها في الازدياد كل يوم ..
بل كل ساعة .

* هل يجدى مع الأحرار قضبان وسجان .

* اذا كنا شرارات فنحن اليوم بركان ..

يا أخى تنعم الكلاب لدى القوم
وتشقى فيالها من مضحكات

أطلق الثورة التى تسكر الصدر
وجفف دموعك الماضيات

هى حرب الحياة اما حياة
واما ممات يكون معنى الحياة

هذه نماذج على سبيل المثال تبين ملامح رأى العام وتطوره في
مصر فيما بين ثورتى ١٩١٩ ، ١٩٥٢

التعليم هو القاسم المشترك :

يعد التعليم من أهم عوامل تطوير الرأى العام ، فقد أدى الى
ظهور جيل من الأساتذة كان لهم أثرهم في الأجيال اللاحقة . وسنتناول
هذا التعليم كقاسم مشترك يبين لنا تطور الرأى العام المصرى فيما بين
ثورتى ١٩١٩ ، ١٩٥٢ ولابد أن نبدأ ذلك منذ الاحتلال . لقد أصيب
التعليم بضربة مباشرة بعد الاحتلال ففى عام ١٨٨٥ نجد ميزانية التعليم
٨٤٦٨٩ جنيهها ، وبعد خمس سنوات هبطت الى ٨٠٣٣٨
جنيها . وكان التعليم في مصر خلال ٢٥ عاما قضاها « كرومر »
في تدهور مستمر بسبب سياسته الشديدة العداء للشعب المصرى . وفي
عام ١٨٨٩ صدر قرار يجعل لغة التعليم في المدارس هى اللغة الانجليزية
وبذلك قضى الاحتلال على النهضة التعليمية التى بدأت في عصر
اسماعيل بفضل على مبارك الذى حرص هو وتلاميذه على توسيع هذا

التعليم وتطويره ، فقد أنشئت دار العلوم عام ١٨٧٢ ، وفي عام ١٨٧٣ افتتحت أول مدرسة للبنات تحت رعاية زوجة اسماعيل • وان كان هذا التعليم لم يستطع أن يحرر نفسه من المذهب القديم في تضخيم الحقائق والسير الشخصية الا أنه كان من وجهة نظر المصريين بداية موفقة لنمو الحياة الثقافية في مصر •

ويقول « ناداف سافران » أنه لا يمكن انكار اتهام الوطنيين المصريين للانجليز في مجال التعليم لأنه يجب أن يقال أن التعليم سار ببطء شديد تحت الحكم البريطاني واستمر التعليم في هذه المرحلة يهدف لتخريج موظفين للحكومة • وليس هناك أى دليل على أن المصريين لم يكونوا في نهم الى التعليم فقد كان اقبالهم على المدارس الخاصة والمدارس الأجنبية واضحا تماما •

ويستعرض « ناداف سافران » البعثات التعليمية الى الخارج في ظل الاحتلال فيقول ان ٧٥٪ من البعثات أرسلت لبريطانيا وان ٦٥٪ من الدارسين تلقوا دراسات انسانية اجتماعية • في حين أن البعثات التي تمت قبل الاحتلال البريطاني كانت معظمها الى فرنسا فان ٨٠٪ من الدارسين تلقوا تعليمهم في فرنسا بالاضافة الى الذين تعلموا على نفقتهم الخاصة وكانت وجهتهم في الغالب فرنسا أيضا •

والواقع أن قضية التعليم في مصر قضية وطنية في المحل الأول •• وكان انشاء الجامعة معركة وطنية تجمعت لها قوى الشعب المفكرة وتبرع الناس لانشائها •

وقد لاحظ المؤلف الأمريكي « ولتر لاكيو » في كتابه « القومية والشيوعية في الشرق الأوسط » ان الطلبة في مصر لعبوا دورا في الحركة الوطنية المصرية يفوق بشكل واضح ما لعبه غيرهم من الطلبة في بلاد العالم بما في ذلك الصين وروسيا •

ولقد كان الشباب المصرى الذى تخرج فى الجامعة الأهلية ثم فى الجامعة الحكومية طلائع مثقفة للشعب أمدت جيلها وما بعده بالفكر والثقافة • ولقد كانت الجامعة المصرية الى جانب كونها معركة وطنية مركزا للاشعاع والنور الذى ساعد الشعب على اكتشاف طريقه فى الحرية والاستقلال والفكر والفن وغير ذلك من أسباب الحضارة •

ومن قبل الجامعة ظل الأزهر يقوم بالدور كله وكان أساتذته وطلبته ثقلا سياسيا كبيرا ثم أنشأ محمد على المدارس المدنية كمدرسة الهندسة التى أنشئت عام ١٨٢٠ والطب والصيدلة والطب البيطرى عام ١٨٢٧ وكانت تستمد طلبتها من الأزهر •

ومن ثم بدأ انتقال القيادات السياسية ومواقع الحركة الوطنية الى هذه المدارس الجديدة ثم الى الجامعة التى افتتحت عام ١٩٠٨ ، ولكن الأزهر ظل عنصرا فعالا فى الثقافة والسياسة • وكانت محاولة الاحتلال والسراى هى السيطرة على الأزهر وإبعاده عن الحياة السياسية والتأثير فيها ، ولم يكن من الممكن أن يتولى الاحتلال ادارة تلك الجامعة الاسلامية فاستقل بها القصر • وكان تعيين شيخ الأزهر يصدر بمرسوم ملكى •

واذا كان الأزهر قد فشل فى إبراز صفوة من الزعماء كما كان يفعل من قبل من خلال الفترة التى نتعرض لها بالدراسة والبحث فإنه لم يفشل فى تخريج مدرسى اللغة العربية للشعب كله ، وتخريج الوعاظ وأئمة المساجد الذين كان لهم دور هام فى توحيد الرأى العام فى الريف حيث الأمية • وليس للأزهر ذنب فقد فرض عليه الحصار • ورغم ذلك أسهم طلبته فى كل أدوار الكفاح السياسى مع طلبة الجامعة والمدارس •

كما أن للأزهر دوره الخالد فى حفظ التراث الانسانى والاسلامى والعربى عقيدة ولسانا • وبفضل الأزهر ظل التيار الاسلامى صاحب التفوق فى الرأى العام المصرى ضد كل مذاهب الالحاد والتحلل الوافد من الخارج •

ولقد أثرت المناهج الأزهرية حتى على برامج الجامعة الوليدة ،
فلقد كانت المواد الخمس التى بدأت بها محاضرات الجامعة الأهلية
عند افتتاحها عام ١٩٠٨ هى :

- ١ — الحضارة الاسلامية •
- ٢ — الحضارة الشرقية القديمة •
- ٣ — الجغرافيا والتاريخ عند العرب •
- ٥ — آداب اللغة الفرنسية •
- ٥ — آداب اللغة الانجليزية •

وقد كانت بداية الجامعة بهذه المحاضرات التى تلقى بعد الظهور
بداية متواضعة لما صار اليه أمرها فيما بعد • فقد بلغ انشاء الكليات
من عامها الثالث ، وظلت الجامعة أهلية حتى عام ١٩٢٥ وانتقلت جامعة
القاهرة التى كان يطلق عليها جامعة فؤاد الأول الى مبناها الحالى
عام ١٩٣٣ • وأدمجت مدرسة الهندسة فيها عام ١٩٣٥ وتوالى انشاء
الكليات بها حتى أصبحت من أعظم جامعات الشرق والغرب •

وفى الاسكندرية بدأت جامعتها بانشاء فرع لجامعة القاهرة
عام ١٩٣٨ يضم كلية الحقوق وكلية الآداب ثم أنشئت كلية الهندسة
فيها عام ١٩٠١ ومن هذه الفروع الثلاثة بدأت الجامعة عام ١٩٤٢ ،
والتي تغير اسمها بعد الثورة من جامعة فاروق الى جامعة الاسكندرية •

أما الجامعة الثالثة فقد ولدت عام ١٩٥٠ حيث كانت هناك معاهد
عليا الى جانب الجامعتين السابقتين • وكانت هذه المعاهد مهنية الى
حد ما لأنها تخصصت غالبا — فى تخريج المدرسين ، وفى شهر يوليو
من عام ١٩٥٠ ولدت فى القاهرة جامعة ابراهيم باشا التى سميت بعد
الثورة جامعة عين شمس وذلك حسما للمشاكل الناجمة عن قصور مناهج
الدراسة بالمعاهد العليا ورغبة للشعب فى التعليم الجامعى ومطالبة الطلبة

في المعاهد العليا بمعاملتهم معاملة زملائهم في الجامعات • وقد ضمت الجامعة الوليدة المعاهد العليا وطورتها وضمت كليتين جديدتين على الجامعات المصرية هما كلية التربية ، وكلية البنات • وعقد أول اجتماع لمجلس الجامعة في أكتوبر ١٩٥٠ برئاسة الدكتور طه حسين وزير المعارف اذ ذاك ، وحضور الدكتور محمد كامل أول مدير لهذه الجامعة وعمداء الكليات • ولم تكد هذه الجامعة تخطو خطواتها الأولى حتى شبت الثورة التي أهدتها الكثير من قصور الأسرة المالكة وسهلت لها الأمور ومدت لها يد العون حتى وقفت على قدميها جامعة كبيرة عظيمة •

أما عن المدرسة فقد فرضت الأوضاع قبل الثورة ، طبقية ثقافية تمثلت في ثنائية التعليم الابتدائي التي تسير في خطين متوازيين لا يلتقيان :

١ — خط التعليم الابتدائي فالثانوي فالجامعة وجواز المرور فيه نقطة البداية الى أقصى نهاية ، والاقتدار المالى على دفع رسوم الدراسة وأجر التعليم ونفقاته الباهظة •

٢ — أما أبناء الفقراء — حيث القاعدة الشعبية — فلهم طريق آخر يبدأ بالكتاتيب والمدارس الالزامية ومنها الى المعاهد الأزهرية ومدارس المعلمين الأولية التي يقف عندها طموح الطامحين وكفاح الأذكياء الموهوبين •

والهيئة التعليمية في مدارس الشعب المجانية مختلفة تمام الاختلاف عن بيئة المدارس التي هي بمصروفات — أعنى المدارس الابتدائية وما بعدها — وهذه مختلفة أيضا عن مدارس الارساليات الأجنبية التي كانت تمارس نشاطها الثقافى بمصر قبل الثورة دون رقيب أو حسيب •

تقول الدكتورة « بنت الشاطىء » : « لقد كنا نذهب الى الكتاتيب والمعاهد الأزهرية أو الى المدارس الالزامية ودور المعلمين والمعلمات

الأولية فنقطع الشوط كله دون أن نتعلم حرفا واحدا من لغة أجنبية أو نشاهد أى جهاز من الأجهزة العلمية أو نسمع عن تجربة من التجارب العملية ، على حين كان تلاميذ المعاهد الأجنبية لا يكادون «يفكون الخط» العربى • والآخرى فى المدارس الأميرية بمصروفات يتعلمون الانجليزية من السنة الأولى الابتدائية ، ثم يضيفون إليها الفرنسية فى المرحلة الثانوية ويتلقون دروس الطبيعة والكيمياء فى المعامل المزودة بالأجهزة العلمية التى لم تكن تخلو منها مدرسة ثانوية » •

ومدارس المعلمين والمعلمات كانت المصدر الوحيد الذى يورد لمدارس الشعب المجانية معلميه ومعلماتها ، ومعاهد الأزهر الدينية كانت المصدر الوحيد الذى يخرج وعاظ المساجد وأئمتها ، وطبيعى أن هؤلاء كانوا لا يملكون أن يفتحوا أمام تلاميذهم أى منفذ يطلون منه على العلم الحديث والثقافة العصرية فذلك كله كان نصيب المدارس الابتدائية التى كانت هيئة التدريس فيها من حملة الشهادات العليا •

وفى الفترة ما بين عامى ١٩١٩ ، ١٩٥٢ وبتأثير النضال الشعبى اتسع نطاق التعليم اتساعا ملحوظا الا أن الفئة المسيطرة على الجهاز التعليمى فى ذلك الوقت كانت تبذل جهودها من أجل حرمان الطبقات الشعبية من حق التعليم المجانى ، وظهر الاتجاه المتمثل فى نقض فكرة المجانية فى التعليم بل ومحاربتها ، والمطالبة برفع رسومه ، وفى السنوات الأخيرة من هذه الفترة ظهرت مطالب وطنية بالتوسع فى التعليم وإصلاحه ولكن حتى هذه وضعت فى قالب طبقى بحيث يكون إصلاح التعليم فى إطار ثنائيته التقليدية •

ونتسم هذه الفترة أيضا بأن الحركات الإصلاحية فيها كانت مجرد مطالب لم تقابل بالتنفيذ العملى الا سنة ١٩٥٠ عندما أصدر الدكتور طه حسين وزير المعارف حينذاك قانون مجانية التعليم الذى كان أعلى درجة من التقدم وصل إليها التعليم فى الفترة السابقة على

ثورة يوليو • كما كان لوزارة المعارف دور خاص في نشر الثقافة بإنشاء إدارة لها عملت على نشر الكتب وتغذية الرأي العام بالثقافة العامة •

كما ساهمت الجامعة العربية ببعض الجهد بإنشائها إدارة ثقافية بها ، وكان لإنشاء الجامعة الشعبية أيضا أثر ملحوظ على الثقافة ، كما كان لتزايد عدد المكتبات أثر ملحوظ خصوصا في الأقاليم •

ان هذا المقياس وهو التعليم لا ينفرد وحده ببيان تطور الرأي العام المصرى ، ولكنه — فيما أرى — هو القاسم المشترك لبيان هذا التطور لأن التعليم في مصر كان قضية وطنية ، ولأن حركة التعليم كانت جزءا من الحركة الوطنية • ولا شك أن باحثين غيرى سيجدون في مجالات أخرى كالصحافة أو الأدب أو الشعارات أو القضايا السياسية والاجتماعية مجالات أخرى يقيسون بها تطور الرأي العام المصرى • ولكننى أردت أن أقتصر على التعليم باعتبار أنه كان يضم في محتواه وفي جمهوره الكثير من ثمار تلك المعاملات العديدة •

المراجع

- أحمد سويلم العمرى ، **الرأى العام والتدعاية** ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر .
- أحمد عزت عبد الكريم ، **تاريخ التعليم فى مصر (ثلاثة أجزاء)** . القاهرة ، وزارة المعارف العمومية .
- أحمد محمد أبو زيد ، **سكولوجية الرأى العام ورسائله الديمقراطية** ، القاهرة ، عالم الكتب .
- جمال عبد الناصر ، **فلسفة الثورة** .
- شهدى عطية الشافعى ، **تطور الحركة الوطنية فى مصر** ، ١٨٨٢—١٩٥٦ ، الدار المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧ .
- عبد اللطيف حمزة ، **المدخل فى فن التحرير الصحفى** ، الطبعة الثالثة ، القاهرة — دار الفكر العربى ، ١٩٦٥ .
- عبد اللطيف حمزة ، **ادب المقالة الصحفية فى مصر** ، الجزء الأول . القاهرة ، دار الفكر العربى .
- فؤاد دياب ، **الرأى العام وطرق قياسه** ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر .
- صبحى وحيدة ، **فى أصول المسألة المصرية** ، مطبعة مصر ، مكتبة الأنجلو ١٩٥٠ .
- محمد عبد القادر حاتم ، **الرأى العام** ، الطبعة الاولى ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢ .
- مختار التهامى ، **الرأى العام والحرب النفسية** ، الجزء الاول . الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، ١٩٧٤ .
- جريدة الاهرام ، ١٩٦٥/٨/٢٠ .
- مجلة الطليعة ، نوفمبر ١٩٦٥ .

— Nadaf Safran, *Egypt in Search of Political Community*
London — Oxford University, Press - 1961.

الفصل السادس

الاتصال الثقافي : مفهومه ووسائله

تعبيران في حقل الاعلام المعاصر يعبران عن حقيقة واحدة هما تعبير الاتصال الثقافي ، وتعبير الاتصال الحضارى . ويقصد بهما اتصال ثقافة أو حضارة بثقافة أخرى أو بيئة ثقافية أخرى أو بحضارة أخرى أو بيئة حضارية أخرى بغض النظر عن مستوى الثقافة أو درجة التطور الحضارى في المتصل (بكسر الصاد) أو المتصل به (بفتح الصاد) . وكلا التعبيرين في الحقل الاعلامي يقصد به الدائرة الأوسع من الاتصال بين البشر التي تبدأ بالاتصال الذاتى وهو اتصال الانسان بنفسه ، ثم الاتصال الشخصى وهو اتصال الانسان بأصدقائه وأهله وزملائه ، ثم الاتصال الجماهيرى مثل الاتصال بجماهير غفيرة عن طريق الراديو والصحيفة ، ثم الاتصال الثقافى أو الحضارى الذى نتحدث عنه . ومفهوم الثقافة في هذا المجال هو اعتبارها أسلوبا ومنهج حياة واعتبارها المناخ العام والشامل لحضارة من الحضارات .

معنى الاتصال الثقافى في مقابل الغزو الفكرى :

ان تعريفنا للاتصال ثم تعريفنا للثقافة أو الحضارة لنخرج من ذلك بتعريف مركب لمعنى الاتصال الثقافى أو الحضارى لا يستطيع الوفاء بالمعنى المعاصر لهذا المصطلح الجديد : (الاتصال الثقافى) . وعلينا أن نسعى لتحديد معنى الاتصال الثقافى باستجلاء النماذج ، وبتعدد زوايا النظر اليه هذا المفهوم الجديد . والقول العربى القديم (وبضدها تتميز الأشياء) قول سديد في مجال بحثنا عن هوية الاتصال الثقافى . ف لدينا تعبير شائئ في الحياة الثقافية المعاصرة يعد نقیضا للاتصال الثقافى هو الغزو الفكرى . واذا تلمسنا الفروق الرئيسية بين الاتصال الثقافى وبين الغزو الفكرى فاننا نجدتها ثلاثة هي :

١ — الاكراه والاضحاج في الغزو الفكرى • وفي المقابل التلقائية والايجابية في الاتصال الثقافى • مبدأ الحرية اذن هو المبدأ الأول الذى يفرق بين الغزو الفكرى وبين الاتصال الثقافى • كما ينص القرآن (لا اكراه فى الدين) نقول لا اكراه فى الثقافة أو الحضارة •

٢ — خلق الاستعداد للانفصال عن الجذور الثقافية والحضارية الوطنية بل والتنكر لها واحتقارها فى الغزو الفكرى • وفى المقابل خاق روح الانتقاء والمفاضلة فى الاتصال الثقافى • مبدأ عدم التنكر للتراث الحضارى والانتقاء فى الوقت نفسه يمثل (بشقى عدم التنكر من جانب والانتقاء من جانب آخر) المبدأ الثانى الذى نفرق به بين الغزو الفكرى وبين الاتصال الحضارى •

٣ — صياغة العقول فى الغزو الفكرى • وفى المقابل الاضافة واستكمال البناء العقلى فى الاتصال الحضارى • هذا هو المبدأ الثالث الذى نفرق به بين المفهومين المتناقضين مفهوم الاتصال الثقافى ، ومفهوم الغزو الفكرى •

التداخل منطقى ووارد :

ولا شك أن التداخل بين هذه المبادئ الثلاثة وارد ومنطقى فى الوقت نفسه ، لأنها مترابطة ويؤدى بعضها الى حدوث الآخر • والجدير بالعناية أن الفروق بين الاتصال الحضارى وبين الغزو الفكرى ليست مسألة تاريخية أو مسألة دراسة وحسب ، وانما هى مشكلة آنية فى عالمنا المعاصر •

لقد عقد فى مدينة البندقية فى أواخر أغسطس ١٩٧١ م مؤتمر اليونسكو موضوعه السياسات الثقافية • وعقد فى أواخر يوليو ١٩٨٢ وأوائل أغسطس ١٩٨٢ مؤتمر مشابه فى المكسيك • واذا تصفحنا خطب رؤساء الوفود فى المؤتمرين فاننا نستطيع الغاء الفترة الزمنية بينهما

في الفقرات المتعلقة بالغزو الفكري • ولقد عبر عن مضمون ذلك كله رئيس وفد من وفود أمريكا اللاتينية في ندوة ثالثة بين المؤتمرين عقدت تحت مظلة اليونسكو أيضا عن الحقوق الثقافية • قال عن قضية الثقافة في بلاده • وعمم على أمريكا اللاتينية : « ان معظم شعوب أمريكا اللاتينية لا يملكون أية ثقافة • كيف هم ؟ ومن هم على وجه اليقين ؟ عندما تعرفهم معرفة صحيحة تجد أن موقفهم من الحياة سليم • ومع ذلك ، فهم أناس بلا أرواح • وبصفة خاصة بغير ارادة • واذا أنت سألتهم ماذا يريدون أو فيما يفكرون لن تحصل منهم على رد » • ان انعدام الشعور بالكرامة وانعدام الثقافة مترادفان •

ان التداخل بين المبادئ الثلاثة التي فرقنا بها بين الاتصال الحضارى وبين الغزو الفكري وارد ومنطقي تاريخيا • وان التشابه بين آثار الغزو الفكري وارد جغرافيا فما حدث في أمريكا اللاتينية حدث مثله في الشرق الأوسط وفي آسيا وفي أفريقيا •

الأفكار المستوردة عبارة مضللة :

من امعان النظر في هذه الفروق بين الغزو الفكري وبين الاتصال الثقافي يبدو لنا مفهوم الاتصال الثقافي أكثر وضوحا • ولكن تحذيرا مهما في هذا المجال يجدر بنا أن نبرزه ، وأن نتنبه اليه ، ذلك هو شعار الأفكار المستوردة • ان هذا الشعار أو هذه المقولة خاطئة ومضللة • ليس في الفكر ولا في الأفكار ما يمكن أن نسميه أفكارا مستوردة • الفكر عالمى وانسانى وملك للبشر جميعا وبوابات الجمارك وبوابات الحدود التي يعبر من خلالها هي عقل الانسان • ولقد استخدم شعار الأفكار المستوردة ضمن الصيحات المنكرة للرجعية أمام التجديد والبعث وضمن سطوة الحكام ضد الديمقراطية والشورى • وكلاهما قصد افهام عامة الناس أن الأفكار المستوردة تعنى هدم قيم المجتمعات وعقائدها ونظمها • وللمؤرخ المصرى عبد العظيم رمضان مقولة فاصلة في الرد

على الصيحة المنكرة باتهام الأفكار المستوردة • يقول عبدالعظيم لتلاميذه تصورا لو أن أجدادنا أيام عمرو بن العاص كانوا في المستقرى العقلى المتدنى الذى هبط اليه الصائحون باتهام الأفكار المستوردة فى أيامنا هذه وقال الأجداد أن الاسلام أفكار مستوردة قادم الينا عبر البحر الأحمر أو عبر آسيا أو عبر سيناء وليس نابعا من سفح الهرم أو ضفاف الدلتا أو الصعيد •• ماذا كان يمكن أن يحقق بنا من خسران لو قدر لصيحة منكرة أن تنجح فى منع الاسلام عن أرواحنا وعقولنا وقلوبنا بحجة أنه أفكار مستوردة ؟

من هذا يتضح لنا الكذوبة شعار الأفكار المستوردة • وهذا هو التحذير الذى ينبغى أن نتيقظ اليه ونحن نتحدث عن الاتصال الثقافى •

وسائل الاتصال الحضارى :

أكثر ما يكون الخلط عند الحديث عن الاتصال الحضارى فى الوسائل • فكثير من الباحثين يخلط وسائل الاعلام بوسائل الاتصال الحضارى • واذا كان من الطبيعى أن تشترك بعض الوسائل فى الحقلين الا أن للاتصال الحضارى وسائل يختص بها ولوسائله ملامحها الخاصة وسماتها المحددة • ويمكن حصر أهم وسائل الاتصال الحضارى فيما يلى :

١ — السياحة :

مع تقدم وسائل النقل برا وبحرا وجوا • ومع ازدياد الرغبة الانسانية فى المعرفة والمشاهدة • ومع توفر الوقت لدى الناس بسبب الاعتماد الجزئى على الآلات فى الانتاج والخدمات • مع كل ذلك أصبحت السياحة فى عالمنا المعاصر وسيلة من وسائل الاتصال الحضارى • ولقد بينت الاحصائيات أن حركة السياحة العالمية فى ازدياد مستمر • وأن توقعات الخبراء تؤكد الزيادة الكبيرة فى المستقبل • ففى مقابل ٦٥٢ مليارا من الدولارات (اجمالى انفاق العالم على السياحة)

في عام ١٩٨١ يقدر الخبراء أن يصل الانفاق في عام ١٩٩٠ ميلادية الى ١٠٦٢ مليارا من الدولارات •

وبرغم ما تبرزه الاحصائيات الدولية من أن حركة السياحة عالميا تتجه الى أماكن الاستجمام والراحة والتسلية بعد أن كانت من قبل تتجه الى الآثار •• برغم ذلك فإن الاتصال الحضارى يجد طريقه في أوجه النشاط الانساني المختلفة بين السائحين والبلدان التي يزورونها •

ومن الجدير بالملاحظة أن الدول المتقدمة تحظى بنصيب الأسد من حركة السياحة العالمية فوفق احصائيات عام ١٩٨١ تحصل ايطاليا على ١٧٪ من حركة السياحة العالمية تليها الولايات المتحدة التي تحصل على أكبر عائد من الدخل السياحي ثم تأتي فرنسا وبعدها أسبانيا وبعدها انجلترا ثم النمسا بينما يصل نصيب مصر وفق احصائيات العام نفسه ١٩٨١ الى ٤٦٪ ، وحيثما ذهب السائحون غفى تحركهم اتصال حضارى لا شك فيه •

٢ — الحج :

في كثير من الديانات يعد الحج منسكا من مناسكها • وفي واقعنا الاسلامي يعد الحج ركنا من أركان الاسلام • والحج في الاسلام حجان • بضعة أيام في الشهر الأخير من العام القمري ويسمى الحج الأكبر ، وله مناسك محددة في أماكن معينة داخل مكة وعلى أطرافها • ثم حج طوال الأيام الأخرى من العام وعلى مدار الليل والنهار ويسمى العمرة أو الحج الأصغر • هذان الحجان في الاسلام يمثلان مؤتمرا سنويا عالميا في الحج الأكبر ولقاء مفتوحا مستمرا طول العام في العمرة •

وفي صور الحج المختلفة نجد وسيلة اتصال حضارى متميزة ، لأن جموع الحجاج تكون عادة في حالة من الشعور بالانتماء لعقيدة واحدة مما ييسر التقارب ، ويزيد من فاعلية الاتصال ان وجد •

(م ٩ — الصحافة بين الأديب والتاريخ)

الحروب :

ليست كل الحروب بطبيعة الحال وسائل اتصال حضارى .
فحروب القبائل العربية فى الجاهلية مثل حرب « داحس والغبراء »
ليست وسيلة اتصال حضارى . ولكن الفتوح الاسلامية ؛ والحروب
الصليبية برغم ما بين كل منهما من اختلاف شديد فى الأهداف الا أنهما
كانتا من الحروب التى تعد من وسائل الاتصال الحضارى . والحملة
الفرنسية على مصر التى استمرت نحو ثلاث سنوات تعد أيضا من
وسائل الاتصال الحضارى ، فى حين أن الاستعمار الفرنسى للشمال
الافريقى لم يكن كذلك ، وانما كان غزوا فكريا أو بمعنى أدق نموذجا
للغزو الفكرى فى القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين . والفرق
بين الحروب التى تعد من وسائل الاتصال الحضارى والحروب التى
لا تعد من وسائل الاتصال الحضارى لا يكمن فى أهدافها ، وانما يكمن
فى الظروف الموضوعية وفى الفترة التاريخية وفى نمو حضارة أو
اضمحلالها . تلك الأحوال مجتمعة هى التى تجعل من حروب وسيلة
اتصال حضارى ومن حروب أخرى ليست وسيلة اتصال حضارى .

فإذا نظرنا الى الفتوح الاسلامية نجد أن الجزيرة العربية
أصبحت فى أواخر عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تدين بالاسلام .
وجاء بعده الصديق ينفذ ما كان قد اعترمه النبى فى تسير الجيش
الاسلامى الى الشام بقيادة أسامة بن يزيد ليرفع عن أهلها طاعوت
حكم الروم . وجاء عمر بن الخطاب ليكمل مسيرة الفتوح التى تتابع
كماء السيل . وفى سنة ١٧ هـ أصبحت فلسطين والأردن وسورية ولبنان
والعراق تحت اللواء الاسلامى . وفى سنة ٢٠ أصبحت مصر فى حوزة
الاسلام . وفى سنة ٢١ دخلت فارس تحت مظلة الفتح الاسلامى
وفى سنة ٣٥ بلغت الفتوح الاسلامية الشمال الافريقى . وفى سنة ٥٦
أصبحت سمرقند تحت اللواء الاسلامى . وفى سنة ٩٦ وصل اللواء
الاسلامى الأندلس حتى جبال البرانس ووصل اللواء حتى حدود

الصين • وكان في طليعة الجيوش الاسلامية صحابة رسول الله وكانوا كلما دخلوا بلدا أقاموا مسجدا ومكث بعض الصحابة والتابعين ينشرون الاسلام • وكان الخلفاء يمدون البلدان المفتوحة بالعلماء ، وبسرعة أصبحت في تلك الأقاليم مراكز علمية مزدهرة • ففي الكوفة مثلا هبط ثلاثمائة ممن كانوا مع النبي في الحديبية ، وسبعون من أهل بدر • وفي البصرة كان الصحابي أنس بن مالك والصحابي عبد الله بن عباس وغيرهم كثير •

ويروى الحسن البصري أنه أدرك ٥٠٠ من الصحابة في الشام وقد كتب يزيد بن أبي سفيان الوالي الى عمر بن الخطاب ليعينه بالعلماء ليفقهوا أهل الشام فأرسل اليه معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء • فأقام عبادة في حمص وأبو الدرداء في دمشق ومعاذ في فلسطين • والي جانب هؤلاء أعلام من الصحابة مثل بلال ابن رباح وخالد بن الوليد والفضل بن العباس بن عبد المطلب المدفون بالأردن • وفي مصر كان الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت والمقداد ابن الأسود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن أبي السرح • وهكذا كان الشأن في شمال أفريقيا ، والأندلس ، واليمن ، وخراسان ، وسمرقند •

وفي حديثنا عن الحروب باعتبارها وسيلة اتصال حضارى لاندرس المنتصر أو المهزوم وانما ندرس الاتصال الحضارى من بيئة متحضرة الى أخرى في مرحلة التقبل الحضارى أو الاستعداد الحضارى أو التهيؤ الحضارى ، ويحدثنا التاريخ عن سريان الاتصال الحضارى من المهزوم الى المنتصر في بعض الظروف لقد استولى المغول على بغداد سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م وضربوها تماما ، وخنقوا آخر العباسيين المعتصم بالله بأمر رئيس الغالبين (هولاكو) • ونهبوا ما في بغداد من أموال وحرقوا كتبها التي جمعها قبل هذه الكارثة الهائلة محبو العلم ، وألقوها في نهر دجلة ، فتألف منها جسر كان يمكن للناس أن يمشوا عليه رجالا وركبانا ، وأصبح ماء دجلة أسود من مدادها • كما روى قطب

الدين الحنفى • ولكن أولئك الوحوش الضارية الذين أضرموا النار في المباني ودمروا الكتب وخربوا كل شيء نالته أيديهم خضعوا لسلطان حضارة المغلوبين بدورهم حتى أن هولاكو الذى خرب بغداد وأمر بجر جثة أخسر العباسيين تحت أسوارها بهرته عجائب حضارة العرب الجديدة في نظره ، فلم يلبث أن صار من حماتها • وفي المدرسة العربية تمدن المغول ، واعتنقوا دين العرب وحضارتهم ، وشملوا متفنى العرب وعلماءهم برعايتهم ، وأقاموا في بلاد الهند دولة قوية عربية وذلك لأنهم أحلوا حضارة العرب محل الحضارة القديمة (١) •

وإذا كان سريان الاتصال الحضارى في الحروب يتم أحيانا من المنتصر وأحيانا من المهزوم كذلك فإن حروبا تمتد الى أكثر من قرنين وأخرى لا تتجاوز أعواما ثلاثة يحقق كل منهما الاتصال الحضارى • ومثال الأولى الحروب الصليبية ومثال الثانية الحملة الفرنسية على مصر •

ولطالما ذكرت الحروب الصليبية كلما ذكر تاريخ الحضارات • ولطالما اختلف الباحثون حول دورها في نقل الحضارة العربية الى أوروبا وقد رأى البعض أن للحروب الصليبية الفضل الأول في نقل الحضارة العربية الى أوروبا ولكن مؤرخا مشهورا مثل جوستاف لوبون لم ير للحروب الصليبية كبير فضل في تمدين أوروبا • وهو يذهب الى القول بأن ما اقتبسه الأوروبيون أثناء الحروب الصليبية هو وسائل ترف الشرقيين ، وطرز العمارة والصناعة • وهو يخالف كثيرا من المؤرخين في استفادة الصليبيين من علوم العرب الخالصة ويقول انها كانت قليلة جدا بسبب عدم ادراك الجيوش الصليبية للمعارف وأصولها • وقد يكون هذا رأى مناسبا لأول العهد في الحروب الصليبية ولكنه لا يناسب الحال بعد مرور قرنين على دخول الصليبيين بيت المقدس في ١٥ يوليو عام ١٠٩٩ م • غير أن لوبون يعترف بأن تضعف النظام الاقطاعى في فرنسا وإيطاليا كان نتيجة للحروب الصليبية • ويؤكد على تأثير الحروب الصليبية في الصناعة والفنون « فقد استوقفت نفائس

الشرق الباهرة أنظار السفيورات الصليبيين مع جلفهم فوجدوا في التجارة وسيلة تقليدها ، فنرى اقتباس نفائس الشرق في أسلحة الغرب وثيابه ومساكنه في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر على الخصوص . وكلما نمت النفائس أدت الى تقدم الصناعة بحكم الضرورة . وتبحث الصناعة عن المنتجات التي تطلبها التجارة منها بطبيعة الحال فتحفزها الضرورة الى القيام بذلك من فورها . واذا كانت صناعة الخشب والمعادن والميناء والزجاج تتطلب معارف كثيرة فقد اقتبسها الأوروبيون من آسيا مع جهلهم لها قبل دور الحروب الصليبية . وعم أمرها بذلك في أوربا فعن صور أخذت البندقية نماذج صناعة الزجاج ، وعن المسلمين أخذت أوربا صناعة النسائج الحريرية والصباغة المتقنة ، وعن سورية أخذ عمال الحملات الصليبية التي دام أمرها قرنين وصانعوا أسلحتنا ومهندسيها وتجارها ومن اليهم ما كانوا يجهلون من المعارف الصناعية . وذلك في أثناء اقامتهم الطويلة بها وكان تأثير فنون الشرق في العرب عظيما أيضا فقد نشأ عن ايلاف الصليبيين ضروب منتجات الشرق الممتد من القسطنطينية الى مصر تهذيب أذواقهم الخليطة ، ولم يلبث فن العمارة أن تحول في أوربا تحولا تاما (٢) .

ومثلما كثر الجدل والنقاش حول الحروب الصليبية ودورها في نقل الحضارة كذلك كثر الجدل حول دور الحملة الفرنسية في النهضة المصرية الحديثة . فيذهب بعض المؤرخين الى اعتبار أن الحملة الفرنسية على مصر هي التي فتحت عيون المصريين على الحضارة الغربية المعاصرة ، والبعض الآخر ينكر دورها ويذهب الى أن فترة الحملة التي تقل عن ثلاثة أعوام لا يمكن أن يكون لها دور تاريخي في أعمار الشعوب . ولكن الدكتور حسين نصار (٣) يوائم بين فترة الحملة ودورها الحضاري بالنظر الى حالة التهيؤ للشعب المصري في ذلك الوقت . فهو ينظر الى الأمر من موضع آخر . فالنهضة . . من وجهة نظره . . علامة على السخط على الموجدود والسعى الى تغييره وعلى ذلك لانه يجد هذه الظاهرة واضحة كل الوضوح في ولاية على بك

الكبير في عام ١٧٦٠ الذي يعد عهده بداية حقبة جديدة والدليل على ذلك تلك الحركة الشعبية التي جاءت مواكبة لحركته ضد الدولة العثمانية أو متأثرة بها كالتى قامت بها جماهير مصر في أثناء الحملة الفرنسية .. وبعدها الى أن نصبوا محمد على والياً عليهم .

ويؤكد الدكتور حسين نصار على أهمية التأثير الفرنسى فى اشعال النهضة ولكنه يرفض أن يكون هذا التأثير هو الباعث الأول لهذه النهضة ، ويرى أن مجيء الحملة الفرنسية المبكر بعد ثورة على بك كان له أثره فى توجيه النهضة الوجهة التى أخذتها . فقد جعل ذلك مصر أول دولة عربية أغلبية شعبها مسلمة تقع تحت التأثير المباشر للتفكير الغربى أو تتصل به اتصالات مباشرة ومتعددة ، مما أدى الى تغير الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فيها تغيرا هاما . وكانت بذلك أول دولة عربية مسلمة تستجيب لهذا التغير . ثم كانت الهادى لبقية أقطار العربية .

ويرد الدكتور حسين نصار على ادعاء البعض بأن لبنان سبقت مصر فى الاتصال والتأثر بالفكر الفرنسى وعمقه قائلاً بأنه يعترف بأن ذلك حق .. ولكن فى بعض المجالات .. كما أن هذا التأثير اقتصر على لبنان فى غالبه لوجود الأثرية المسيحية وخاصة المارونية . أما التأثير المصرى فكان فى خصوبة أرض مصر ، فنقل ثماره الى بقية الأقطار العربية وعرفها بها ، وأتاح لها التأثير فيها ويرجع ذلك الى عدم وجود فروق أو حساسيات بين شعوب هذه الأقطار والشعب المصرى . بالاضافة الى أن مصر لم تكن تأخذ الظاهرة الأوربية على علاقتها بل تنتقى منها ما يلائمها أو تخضعها لتحويل يجعلها مناسبة للمجتمع المصرى العربى فى كثير من الأحيان مما يجعلها مقبولة عند الآخرين .

والسؤال الجدير بالاهتمام هو : هل تظل بعض الحروب وسيلة اتصال حضارى ؟ ان حروب اليوم اختلفت عن حروب الأمس فى عنصر

الاتصال ففى أيامنا هذه تدور الحروب دون أن يرى الجنود وجوه أعدائهم • ولكن الحروب ستظل • بل ربما تبقى القاعدة هى الحروب والاستثناء هو السلام • لقد أحصى ويل ديورانت مؤلف قصة الحضارة سنوات السلم خلال أربعين قرنا فوجد لها أقل من ثلاثة قرون • لذلك نستطيع أن نقرر بأن بعض الحروب أدت دورا فى الاتصال الحضارى دون جدال وأن حروب الغد قد تقضى على كل الحضارات دون تمييز • وذلك بسبب التقدم المذهل فى أسلحة الدمار الشامل •

— الكتاب :

ليس كل كتاب بطبيعة الحال وسيلة اتصال حضارى • كذلك لا نذهب مع القائلين بأن الكتب السماوية وعلى وجه الخصوص (القرآن الكريم) وسائل اتصال حضارى أو ثقافى أو ما شابه ذلك • ان الكتب السماوية لها مواقعها الخاصة فى هداية البشر ، وتنظيم حياتهم لكسب الدنيا والآخرة • وما نقصده بالكتاب باعتباره وسيلة اتصال حضارى — الكتاب البشرى الذى يؤلفه فرد أو جماعة سواء كان المؤلف معلوما أو مجهولا • الكتاب الذى ينتقل من حضارة الى أخرى ومن بيئة الى أخرى مؤثرا وحيا • ومثال ذلك كتاب (أقوال الآباء) الفرعونى الأصل والمجهول المؤلف والذى فقد أصله الهيروغليفى، وترجم من اللغة اليونانية الى اللاتينية فى القرن الخامس الميلادى ، ثم الى عدد من اللغات القديمة فى ظل الكنيسة • وكتاب وصف مصر الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية ، وكتاب الأمير لمكيافلى • وكتاب ألف ليلة وليلة ، وكتاب الاليزادة ، وكتاب رأس المال لكارل ماركس ، وكتاب كلية ودمنة •

والكتاب بصفة عامة لأبد وأن يعكس الثقافة التى ينتمى اليها • ان الاطلاع على كتاب مدرسى فى قواعد اللغة العربية والتعبير فى الأزهر المعاصر ، أو فى مركز من مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها يختلف ثقافيا عن كتاب مدرسى فى قواعد اللغة الفرنسية والتعبير فى مدرسة فرنسية ، أو فى مركز ثقافى فرنسى فى قارات العالم •

وتمثل الترجمة الجانب الأساسى فى مجال الكتاب باعتباره وسيلة اتصال حضارى • ويحدثنا التاريخ عن اهتمام العرب بترجمة أهم الكتب اليونانية الى اللغة العربية • وأن حركة الترجمة قد بدأت مع الدولة الأموية ثم بلغت شأنا كبيرا فى الدولة العباسية ، وبخاصة فى عصر المأمون الذى اهتم بالترجمة اهتماما خاصا ، وأنفق عليها بسخاء • ثم جاء الدور على أوروبا فى نهضتها الحديثة لترجم كتب العرب الى اللاتينية ، ولترجم الكتب اليونانية من النص العربى • ومن هذا الباب الواسع كان الكتاب سفير الحضارات • « لقد دخلت العلوم أوروبا من أسبانيا وصقلية وإيطاليا • وذلك بأن مكتبا للمترجمين فى طليطلة بدأ منذ سنة ١١٣٠ م ينقل أهم كتب العرب الى اللغة اللاتينية تحت رعاية رئيس الأساقفة ريمون ، وأن أعماله فى الترجمة كللت بالنجاح ، ولم يتوان الغرب فى أمر هذه الترجمة فى القرن الثانى عشر والقرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر من الميلاد ولم يقتصر الغرب على ترجمة مؤلفات علماء العرب كالرازى وأبى القاسم وابن سينا وابن رشد وغيرهم الى اللغة اللاتينية بل نقلت اليها أيضا كتب علماء اليونان التى كان المسلمون قد ترجموها الى لغتهم كتب جالينوس وأبقراط وأغلاطون وأرسطو وأقليدس وأرشميدس وبطليموس ، فزاد عدد ما ترجم من كتب العرب الى اللغة اللاتينية على ثلاثمائة كتاب • القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليونانى القديم الا من ترجمتها العربية وبفضل هذه الترجمة أطلعت أوروبا على كتب اليونان التى ضاع أصلها اليونانى » (٤) •

وفى عالمنا المعاصر تمثل ترجمة الكتب فى أغلبها اتجاهها ذا تدفق واحد ، من الحضارة الأوروبية المعاصرة الى العالم الثالث • وقليل من كتب العالم الثالث التى تحظى بالترجمة الى احدى اللغات الأوروبية • لذلك كانت ضمن مقترحات مصر فى مؤتمر السياسات الثقافية الذى عقد فى المكسيك خلال يوليو ١٩٨٢ تحت مظلة منظمة اليونسكو اقتراحا بإنشاء مركز عالمى للترجمة يتبع منظمة اليونسكو ، تكون مهمته تلقى

ما ترشحه الهيئات الثقافية في دول العالم الثالث من أعمال فكرية وأدبية وفنية وترجمته في وقت واحد الى اللغات الأوروبية وطبعه ونشره وتوزيعه في كل الشعوب التي تتكلم هذه اللغات مع الالتزام بكل الحقوق الخاصة بالمؤلف ودار النشر الأولى . حتى يمكن تعريف المثقف العالمى بانتاج مثقفى دول العالم الثالث .

كذلك من الكتب التى تذكر في وسائل الاتصال الحضارى انتاج المستشرقين والمعاجم المزدوجة اللغة .

٥ - الفيلم السينمائى :

واذا كان من واجب الاعلام فى أى مجتمع أن يقدم للمجتمع الدولى الشخصية الوطنية فان (الفيلم) يقوم بهذا كله . وبصورة أكثر شمولاً وأوقع أثراً ، لأنه يستخدم عناصر الدراما ولا يقتصر على عناصر الخبر . ان كل شعب من خلال أفلامه يريد أن يكون له صوت فى الساحة العالمية سواء بقصد أو بغير قصد . وعندما اجتمعت اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاعلام النابعة من منظمة اليونسكو عام ١٩٧٩ فى باريس جاء فى تقريرها عن مشكلات الاعلام فى المجتمع الحديث ما يتعلق بالسينما على وجه الخصوص فى أربع نقاط رئيسية :

النقطة الاولى : يختلف التنظيم العالمى لصناعة الأفلام اختلافاً كلياً عن تنظيم وسائل الاعلام الأخرى . وتأتى القارة الآسيوية فى مقدمة البلاد المنتجة للأفلام ففى عام ١٩٧٥ أنتجت هذه القارة (١٩٦٠) فيلماً طويلاً من مجموع (٣٨٠٠) فيلم فى العالم أجمع . وتعتبر الهند على رأس المنتجين فى العالم (٥١٠) تليها اليابان (٣٣٠) وتأتى أوروبا فى المرتبة الثانية من ناحية الانتاج (١١٢٠) حيث تتبوأ إيطاليا المرتبة الأولى (٢٣٠) تليها فرنسا (٢٢٠) أما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فقد أنتج كل منهما فى عام ١٩٧٥ مائة وثمانين فيلماً . ويتضح من ذلك أن أمريكا الشمالية وأوروبا لا تسيطران

على هذا الانتاج كما هو الحال بالنسبة لبقية وسائل الاعزيم • وثمة ظاهرة أقل شأنًا وان كان لها مغزاها هي ما تبينه الاحصاءات العامة من تناقص عدد دور السينما في أمريكا الشمالية وأوروبا خلال العقد الأخير ، بينما سجل هذا العدد ازديادا سريعا في الاتحاد السوفيتي وازديادا أبطأ في بقية أنحاء العالم •

النقطة الثانية : تتلخص في أن كمية الأفلام المنتجة في كل بلد لا تشكل العامل الأساسي لتداولها أو للتأثير الذي تتركه على الأنماط الثقافية على الصعيد الدولي • ان تداول الأفلام تسوده المصالح التجارية وأحيانا المصالح الثقافية • وتأتي الولايات المتحدة في مقدمة الدول المصدرة للأفلام تليها إيطاليا وفرنسا فالمملكة المتحدة فالهند والاتحاد السوفيتي • ويعود الخل هنا الى أن البلاد الصناعية تتبوأ المرتبة الأولى في مجال التصدير بينما لا تحتل مثل هذه المكانة في مجال الانتاج • كما أن توزيع الأفلام في العالم يخضع الى حد كبير لعامل اللغة والثقافة • والأفلام الصينية خير مثال على ذلك حيث توزع على نطاق واسع في البلاد التي تضم بين سكانها عددا كبير من السكان الصينيين ، بينما تبقى الأفلام المنتجة في لغات أسيوية أخرى ضمن حدود بلادها •

النقطة الثالثة : تتولى الشركات الخاصة انتاج الأفلام الطويلة باستثناء الدول الاشتراكية وعدد صغير من الدول الأخرى في مختلف أنحاء العالم • ولكن يزداد اهتمام الحكومات يوما بعد يوم بهذه الصناعة بحيث تعتبر اليوم أن المصلحة العامة تقتضى مساهمة الدولة في بعض حقول انتاج الأفلام • وتحظى موضوعات معينة بالتشجيع على شكل مساعدات • ولوحظ في السنين الأخيرة أن حوالى اثنتى عشرة حكومة أكثرها في أوروبا الغربية قد منحت المنتجين التجاريين اعانات لأسباب ثقافية أو اقتصادية • وفي أكثر البلاد يقتصر تدخل الدولة على تطبيق الرقابة على الأفلام أو تقييمها حسب فئات الجمهور الذي يتاح لفئاته مشاهدتها •

النقطة الرابعة : تهتم هذه الصناعة الى جانب انتاج الأفلام الطويلة بانتاج أنواع أخرى من الأفلام • كالأفلام القصيرة عن أحداث الساعة، والأفلام والصور المتحركة والأفلام الثقافية والأفلام التعليمية وما شابه ذلك • فإذا كانت الأنواع الثلاثة الأولى تصادف صعوبة للوصول الى جمهور كبير فان الأفلام الثقافية والتعليمية تسجل تقدما ملموسا بفضل التلفزيون والحفلات السينمائية التي تنظمها المدارس • ويقوم بانتاج مثل هذه الأفلام الى جانب الشركات التجارية أجهزة الدولة ومجالس السينما وشركات الاذاعة التي قد تقتصر مساهمتها على العون المالى فقط •

٦ - تبادل الوفود والبعثات :

بدءا من السفارات الى فرق الفنون الوطنية تمتد كل أشكال تبادل الوفود والبعثات وسائل اتصال حضارى • وهى وسيلة موهلة في القدم من وسائل الاتصال الحضارى • ولكن ظهور ما يسمى بالدبلوماسية الشعبية في القرن العشرين الميلاى جعله هذه الوسيلة أكثر غاوية مما سبق من عصور • وتتمثل الدبلوماسية الشعبية في تبادل الزيارات وعقد الندوات والمؤتمرات بين اتحادات العمال والشباب وما الى ذلك من منظمات شعبية •

وتحظى البعثات التعليمية بأهمية خاصة في هذا المجال من مجالات الاتصال الحضارى • ان المدرسين الذين يتوجهون الى بلدان صديقة للتدريس في مدارسها ينقلون الى طلابهم مع المعارف والدروس أنماطا ثقافية وحضارية • وفي بعثات طلب العلم تتحقق ميزتان رئيسيتان الأولى حالة التهيؤ النفسى للمسافرين حيث أنهم يذهبون الى موطن العلم قاصدين التعليم والثانية أن طلاب العلم المسافرين للتعلم يمثلون نخبة من أوطانهم • وتطالعنا دائما أسماء المفكرين والأدباء المصريين الذين عادوا من البعثات في أوروبا (منذ عصر محمد على الى ثورة ١٩٥٢) فأسهموا اسهاما كبيرا في الحياة الفكرية • وتكرر

الظاهرة نفسها في حلقات سلسلة الحضارة • يقول جوستاف لوبون :
« عرب الأندلس وحدهم هم الذين صانوا في القرن العاشر من الميلاد
العلوم والآداب التي أهملت في كل مكان حتى في القسطنطينية ، ولم يكن
في العالم في ذلك الزمن بلاد يمكن الدرس فيها غير الأندلس العربية
وذلك خلا الشرق الاسلامي طبعاً • والى بلاد الأندلس كان يذهب
أولئك النصارى القليلون لطلب العلوم في الحقيقة • ونذكر منهم على
حسب بعض الروايات ، جربرت الذي صار بابا عام ٩٩٩ م باسم
سلفستر الثاني ، والذي أراد أن ينشر في أوروبا ما تعلمه ، فعد الناس
ما عمله من الخوارج واتهموه بأنه تباع نفسه للشيطان » (٥) •

٧ — الاذاعات الموجهة :

وهي وسيلة فرضتها روح العصر • وأول المشاكل التي تنحرف بها
عن هويتها كوسيلة اتصال حضارى هي أنها لا تقدم للمستمع صورة
تلقائية أو صحيحة عن مجتمعها • وانما تتوجه للمستمع بصفة مباشرة
بغية جذبته دعائيا الى ما تريد وبرغم ذلك فان طبيعة العصر جعلت منها
وسيلة اتصال حضارى لا يمكن اغفالها وذلك بسبب خصائص الراديو
في اجتياز الحدود الجغرافية • وبسبب هذه الخصائص ذاتها نشب
ما أطلق عليه حرب الأثير أو ما يطلق عليه الآن حرب طواحين الهواء •
ولقد كانت ظروف الحرب العالمية الثانية العامل الرئيسى في بروز
هذه الحروب الاذاعية ثم ساعدت ظروف الحروب الباردة بعد ذلك
وظروف حدة الصراع العقائدى بين الشرق والغرب على استمرار
حروب الاذاعات • وأصبح في هذا المجال ما يمكن أن نسميه بالهجوم
الاذاعى ثم الهجوم المضاد أو الرد ، ففي أغسطس ١٩٨٢ توترت
العلاقات بين كوبا والولايات المتحدة بسبب الاذاعات الموجهة أو
ما يطلق عليه حرب طواحين الهواء نسبة الى (الهوائيات) الخاصة
بالاذاعة • لقد بدأت ادارة ريجان تبتكر وسائل جديدة في الكاريبي
طبقتها في مناطق أخرى من العالم من قبل في حرب طواحين الهواء ،

فقد بدأت تترع بين الأشجار الاستوائية في جزيرة (كاي وست)
المطلة على شاطئ فلوريدا هوائى (ايرىال) اذاعة طوله ٢٥٠ قدما ،
وأطلقت عليه اسم (راديو هوزيه مارتى) وهى شاعر كوبي ثائر
في القرن التاسع عشر وهذه الاذاعة تكمل الاذاعات الموجهة التي تبثها
أمريكا الى الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية والشرق الأوسط (صوت
أمريكا) • وعندما أحست كوبا بالخطر أعلنت أنها ستقوم وفي اللحظة
التي تبدأ فيها الاذاعة الجديدة بثها بالتشويش على مائتى محطة
تجارية تبث من ٣٢ ولاية أمريكية • ورد البنتاجون (وزارة الدفاع
الأمريكية) بأنه سيعتبر التشويش عملا عدوانيا •

٨ — التجارة :

ومن صورها المعاصرة المعارض الدولية • بل ان الحوانيت في
عواصم العالم الصناعى بل عواصم العالم بصفة عامة ومدنه الرئيسية
هى أظهر ما يلقاه المسافر •

وتاريخ الصحافة يحدثنا عن مدينة البندقية باعتبارها مركزا
تجاريا في عصر النهضة ومركزا اخباريا بسبب قدوم التجار من الشرق
فيحدثون الصحفيين بما شاهدوا وسمعوا • فيكتب الصحفيون من
أفواه التجار ومن مكان تجمعهم • ولقد كانت رحلة الشتاء ورحلة
الصيف قبيل ظهور الاسلام رحلتا التجارة الى اليمن والى الشام من
وسائل الاتصار الحضارى • ولقد دخل الاسلام بعض بقاع الهند
مع التجار المسلمين الذين وجد أهل هذه البقاع فيهم قدوة انسانية
وحضارية •

وفي أيامنا هذه تحمل السلعة لمحات من الشخصية الحضارية
للمنتجين • ان الدقة و النظام أو صغر الحجم مثلا يكاد يتعرف عليها
المستهلك العادى في البضائع اليابانية أو الألمانية أو ما شابه ذلك
دون أن يقرأ عليها اسم البلد المنتج •

ومن هذه المساحة العريضة للتجارة باعتبارها سلعة ، وللتجارة باعتبارها نشاطا اقتصاديا وللتجارة باعتبارها نظاما عالميا للأسواق ولاعتبارات عديدة متشابكة أدت التجارة وما تزال تؤدي دورا في الاتصال الحضارى .

٩ - اللغة :

يرى بعض الباحثين أن اللغة وسيلة اعلام . وعندى أن اللغة ليست وسيلة اعلام . وانما هي وسيلة للتعبير عن أفكار الأفراد وتسجيلها . وهي ليست وسيلة تخاطب وحسب وانما هي تحمل ملامح وسمات من يتكلمون بها . . تحمل صورتهم الثقافية . وهذا ما يجعلها وسيلة اتصال حضارى . وعلى ضوء هذا المفهوم نفسر جانباً من قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من عرف لغة قوم أمن مكرهم) بأن تعلم الانسان للغة قوم يمكنه من معرفة طريقة تفكيرهم .

وليست كل لغة بطبيعة الحال . تعد وسيلة اتصال حضارى . فالشروط الضرورية لى تصبح لغة ما وسيلة اتصال حضارى هي بصورة أو بأخرى الشروط الضرورية للنمو الحضارى أو الازدهار الحضارى . وجملة القول أن العلاقة بين اللغة وبين الحضارة هي علاقة اطراد ، وبعض الباحثين ^(٦) يرى أن اللغة هي العامل الرئيسى في العلاقات الحضارية ، فالتوسع الثقافى — فى نظرهم — هو توسع لغوى قبل كل شيء ، وأن معرفة لغة تسمح لمن يعرفها بالتأثر الحضارى والثقافى . وأنه اذا نمت حضارة وازدهرت أقبلت الأمم الأخرى على تعلم لغتها للانتفاع من معطيات تلك الحضارة ونقلها الى لغتها .

ونحن نرى أن الرايين لا يتعارضان ، وانما يعبران عن حقيقة واحدة . وهي العلاقة العضوية بين ازدهار حضارة وانتشار لغتها .

واللغة كائن حي يعترىها ما يعترى الكائن الحى من ميلاد ومن شباب ومرض وموت . بل ما يعترى الكائن الحى نفسيا من قوة وإرادة

أو ذبول ويأس • لقد استوقفني في تاريخ الشعر العربي أن الغساسنة والمناذرة دولتان عربيتان لما يقرب من خمسة قرون على اتصال مباشر بالقوتين الأعظم في الجاهلية وعند ظهور الاسلام وهما الروم والفرس • هاتان الدولتان العربيتان لم يظهر في أي منهما شاعر • وكان الشعراء ينبغون في الجزيرة العربية بدوا وحضرا ويذهبون لمَدح ملوك الغساسنة والمناذرة • ويروى ابن سلام الجمحي ^(٧) أنه كان عند النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح هو وأهل بيته به ، وأن هذا الديوان آل الى بنى أمية • لقد استوقفني هذه الظاهرة وهي أنه لم يظهر شاعر واحد من الغساسنة أو المناذرة برغم أنهما كانا من حيث المظهر الحضاري واستخدام الوسائل الحضارية المعاصرة ووسائل الترف أكثر من بقية أهل الجزيرة بأشواط بعيدة • ولقد ألح على السؤال : لماذا لم يظهر شاعر أو لم يظهر شعر في أي من الدولتين

على مدار خمسة قرون ؟

وكانت الاجابة • في رأيي تتلخص في فقدان الذات • ماذا كان مثلهم الأعلى ؟ التبعية • • ؟ وهل التبعية وفقدان الذات الثقافية تجعل قلبا ينبض ؟ ان التبعية لا تنتج فنا ولا فكرا • ولا بد لازدهار الفكر والفن من شيء ينبع من داخل النفس • واللغات والشعوب والحضارات ككل كائن حتى لا بد من شيء نبيل يحركها •

وتتعرض اللغات لمحاولات القتل أو السجن في الصراعات البشرية ، وذلك ضمن الغزو الفكري في التاريخ الحديث • ونضرب مثلا بمحاولات سجن اللغة ومثلا بمحاولات قتلها بما تعرضت له اللغة العربية في مصر والشام من جانب وما تعرضت له في الشمال الافريقي من جانب آخر ، وذلك خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي والنصف الأول من القرن العشرين • لقد تعرضت اللغة العربية في الشمال الافريقي للمقتل والوَأَد ، بينما تعرضت في مصر والشام للسجن والتقييد • وبمقارنة الانتاج الأدبي والثقافي للأدباء

والكتاب الصحفيين في مصر والشام بانتاج اخوانهم في الشمال الافريقي
تتضح لنا درجات التأثير • ويتبين لنا مدى الضرر •

وتقول الاحصائيات الدولية أن عدد اللغات المستخدمة شفويا
في الكرة الأرضية نحو ٣٥٠٠ لغة بينما يبلغ عدد اللغات المكتوبة ٥٠٠
لغة • ويقول علماء اللغة أن كل لغة تموت يولد مقابلها لغتان أو لغة
ونصف • ومن هذه الاحصائيات يتبين لنا الموقع الممتاز الذي تتمتع به
اللغة العربية في عالمنا المعاصر ، فهي واحدة من ١٦ لغة يتحدث بكل
منها ٥٠ مليون نسمة على الأقل في العالم • ومزيد من الاحصائيات يدعم
صورة الموقع الممتاز للغة العربية على خريطة لغات العالم • تقول
الاحصائيات أن عدد اللغات في أفريقيا يصل الى ١٢٥٠ لغة • وفي
أوروبا ٢٨ لغة وطنية رسمية • وكانت مشكلة تعدد اللغات في أوروبا عائقا
أمام تبادل البرامج الاذاعية (راديو وتليفزيون) ولكن الخبراء
واستخدام التكنولوجيا والترجمة مكنتهم من ايجاد حلول حاسمة لهذه
المشكلة • نضيف الى تلك الاحصائيات الحقيقة التاريخية والحضارية
وهي ما نسميه بالمجال الحيوى للغة من اللغات • ومن ثم نجد اللغة
العربية على أساس أنها لغد القرآن تتبوأ مركزا ممتازا في دائرة
الاتصال الحضارى لو ازدهرت لأصحابها حضارة •

١٠ — الهجرات :

تمثل الهجرات منذ فجر التاريخ وسيلة من وسائل الاتصال
الحضارى • ويذهب مؤرخو الحضارات الى حدود تثير الدهشة في
حديثهم عن الهجرات القديمة وهم يقتفون آثارها • ويرى عباس
العقاد (٨) أن من سلالة العرب نزحت أقوام الى أواسط أوروبا منذ
خمسة آلاف سنة على أقل تقدير • ويقول أن كل ما استفاده الأوروبيون
من هذه البقاع في هذه العصور ، هو تراث عربى أو تراث انتشر
في العالم بعد امتزاج العرب بأبناء تلك البلاد • ويؤكد بأن هذا التراث
يشمل كل ما هو أصيل عريق عند الأوروبيين في شئون العقل والروح
وأسباب العمارة والحضارة وهي :

- ١ — العقائد السماوية •
- ٢ — آداب الحياة والسلوك •
- ٣ — فنون التدوين والتعليم •
- ٤ — صناعات السلم والحرب وتبادل الخيرات والثمرات •

ويتتبع العقاد كل ذلك بالدليل والبرهان • فهو يقرر بأن الأوربيين تلقوا عن الأقوام العربية الأولى في هجراتها عقائدهم عن الأسبوع وأرباب الأيام وسلطانها على الأحياء • ولا تزال أسماء الأيام الافرنجية تحمل طابع العقائد السماوية كما كان يعتقدها أسلاف العرب المغرقون في القدم • والعقاد يسوق نصا عن الجزء الأول من اخوان الصفا عن أوائل ساعات الأيام جاء فيه (أعلم أن الليل والنهار وساعاتهما مقسومة بين الكواكب السيارة ، فأول ساعة من يوم الأحد للشمس ، وأول ساعة من الاثنين للقمر ، وأول ساعة من يوم الثلاثاء للمريخ ، وأول ساعة من يوم الأربعاء لعطارد ، وأول ساعة من يوم الخميس للمشتري ، وأول ساعة من يوم الجمعة للزهرة وأول ساعة من يوم السبت لزحل • ثم يسوق العقاد قرائن الاتصال الحضارى في تأثر الأوربيين بالهجرات العربية الأولى فيذكر أن يوم الأحد يعرف في الانجليزية باسم (سنداى) Sunday أو يوم الشمس • ويوم الاثنين يعرف فيها باسم (منداى) Monday أو يوم القمر • ويوم الثلاثاء يعرف فيها باسم (نيوزداى) أى يوم تيزو اله الحرب عند أمم الشمال الأولى • وتوضحه التسمية الفرنسية لهذا اليوم لأن يوم الثلاثاء يعرف فيها باسم Mardi أو يوم مارس وهو المريخ • ويوم الأربعاء يعرف في الانجليزية باسم (ونزداى) Wednesday أو يوم « ودين » اله المعارف والفنون عند قدماء (التيوتون) وتوضحه التسمية الفرنسية أيضا لأن يوم الأربعاء يعرف فيها باسم Mercredi أى يوم عطارد وهو بالفرنسية Mercure وبالانجليزية Mercay ويوم الخميس يعرف

في الانجليزية باسم (ثورزداى) Thursday أو يوم (ثور) اله الرعد عند قدماء التيوتون ، وتوضحه التسمية الفرنسية لأن يوم الخميس يرف فيها باسم Jeudi أى يوم المشتري أو الاله جوبيتر ، ويرجع هذا الى اسم ياهو Jehova الذى يشير به أبناء الأمم السامية الى الله . ويوم الجمعة يعرف في الانجليزية باسم فرايداي Friday أو يوم الربة فريج Frig زوجة عطارد ومقابلة الزهرة في صفاتها وتوضحه التسمية الفرنسية لأن يوم الجمعة فيها يعرف باسم يوم الزهرة Vendredi أو يوم فينوس . ويوم السبت يعرف في الانجليزية باسم (ستارداي) Saturday أو يوم زحل Saturn في تلك اللغة الى اليوم . ويمضى العقد معقبا بأنه يتبين لنا من معانى أيام الأسبوع عندهم ان عقائد التنجيم التى أخذوها عن السلالات العربية قد تغلغت في شعوبهم الأوربية من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ومن أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، وهى العقائد التى ترتبط بالمعيشة اليومية وطوالع الأوقات وسلطان الأفلاك العليا على الأحياء وحوادث الأيام . وهكذا يمضى العقد فى القرائن والبراهين التى تؤكد لنا أهمية الهجرات فى الاتصال الحضارى .

ويحدثنا التاريخ أنه عندما قامت دولة البطالمة فى مصر استقدموا الى الاسكندرية العلماء من جميع أرجاء بلاد الاغريق مثل اقليدس وارستوفانيس وكاليفا خوس وزودوهم بكل وسائل الراحة من متحف شهير ومكتبة عظيمة ومدارس كثيرة ورواتب مجزية ليبدع كل فى علمه وغنه . وجاءت الثمرة عظيمة لا تنسى . . فقد صانوا هم ومن جاء بعدهم فى العهد الرومانى أعمال الاغريق والغنوسطيين والمانريين التى ضاعت أصولها . وتركت معارفهم الرياضية بصماتها فى الرياضيات الهندية ، ثم انتقلت عن طريقها الى الفارسية فالعربية (٩) .

هكذا كان المد الحضارى فى مصر وكانت وسيلته الهجرات . ويروى لنا التاريخ صورة للجذر الحضارى ووسيلته أيضا الهجرات . كان ذلك عند فتح العثمانيين لمصر فقد جمع سليم الأول العمال والصناع

المهرة من مصر وأرغمهم على السفر الى الاستانة لزاولة فنون الصناعات والحرف هناك ونشرها في بلاده .

وفي عالمنا المعاصر تمثل هجرة العقول والأيدى العاملة وسيلة من وسائل الاتصال الحضارى اذا كانت الهجرة مؤقتة ، و اذا ظل المهاجر مرتبطا بوطنه الأم ولو بقضاء العطلات فيه .

١١ — الأوجه الاتصالية للنشاط الدولى :

ومن أمثلتها الاعلام الدولى والمنظمات الدولية والألعاب الأولمبية وحاس العالم وما شابه ذلك . وتعد اليونسكو (Unesco) أبرز وأهم المنظمات فى هذا المجال ومنذ ١٩٤٦ تاريخ انشاء هذه المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم باعتبارها احدى المنظمات التابعة للأمم المتحدة قدمت أعمالا باهرة فى مجال الاتصال الحضارى بين معظم شعوب العالم . وتضم المؤتمرات العديدة التى تعقدها اليونسكو صفوة المفكرين والخبراء فى الدول الأعضاء . وتعد مؤتمرات اليونسكو ساحة فسيحة لاختلاف الآراء وتعدددها حول المفاهيم الثقافية فى عالمنا المعاصر ويشمل النشاط اليومى (الروتينى) للمنظمة مجالات متسعة للاتصال الحضارى بين شعوب العالم . ومن هذه العناصر وغيرها تسهم اليونسكو اسهاما كبيرا وفعالا فى الاتصال الحضارى وتعد وسيلة ضمن الأوجه الاتصالية للنشاط الدولى . تلك الأوجه التى مكن لها الاعلام المعاصر بأن جعل الكرة الأرضية قرية اتصالية .

المقارنة بين الوسائل :

ومما لا شك فيه أن لكل وسيلة من وسائل الاتصال الحضارى أبعادها المتعددة التى تكشف جوانبها الايجابية والسلبية . ولكننا فى هذا المجال نقتصر على تحديد وسائل الاتصال الحضارى عسى أن يفتح هذا التحديد بابا للباحثين فى علوم الاعلام وتاريخ الحضارات وغيرهم للدراسة والبحث . وعلى سبيل المثال ليس ما يراه السائح فى معظم الأحيان هو الصورة الحقيقية لحضارة البلدان التى يزورها . ان ولع السائح بالفولكلور مثلا وبأماكن المجون واللهو يحجب عنه أشياء

كثيرة من صلب الحضارة التي يتصل بموطنها وأهلها • فهل مصارعة
الثيران مثلا تعبر عن الدور الحضارى لأسبانيا • وهل ملاهى شارع
الهرم تعبر عن مصر وعاء الثقافة العربية الاسلامية ؟ •

ولا شك أيضا أن درجة التأثير في الاتصال الحضارى تختلف من
وسيلة لأخرى يقول أجنتس جولد تسهر (١٠) أن التأثيرات الروحية أقل
تجاوبا اذا صدرت عن كتاب الى كتاب مما اذا حصلت عن طريق اعتناق
الآراء التي تملأ البيئة • وتنتقل بواسطة الاتصال الحى ولا سيما اذا
كانت موضوع اختلاف قوى الحيوية في الأفكار وبرزت الى الصف
الأول من الاهتمام • ولابد أن الجدل قد حصل شنيعا بين أطراف
النقاش •

كذلك يمثل مضمون الاتصال عاملا حاسما في عملية الاتصال
الحضارى من حيث الأثر ورد الفعل يقول جوستاف لوبون (١١) :

« ويجب على من يرغب في الحكم بفائدة كتاب دينى ألا ينظر الى
قواعده الفلسفية بل الى مدى تأثير عقائده ، والاسلام اذا نظر اليه
من هذه الناحية وجد من أكثر الأديان تأثيرا في الناس ، مع مماثلته لأكثر
الأديان في الأمر بالعدل والاحسان والصلاة ... الخ • يعلم هذه الأمور
بسهولة يستمرئها الجميع ، وهو يعرف فضلا عن ذلك ، أن يصب
في النفوس ايمانا ثاقبا لا ترعزعه الشبهات » •

أن المقارنة بين وسيلة وأخرى من وسائل الاتصال الحضارى
لا يفسد مبدأ التكامل بينها • أو كما نقول في مستويات الاعلام بأن
الاتصال الشخصى ليس نقيضا للاتصال الجماهيرى • وانما يدعم كل
منهما أهداف الآخر •

الاتصال الحضارى لماذا ؟

يقول مالك بن نبي (١٢) ان مشكلة كل شعب هى في جوهرها مشكلة
حضارية ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته

إلى الأحداث الانسانية وما لم يتعمق في فهم العوامل التى تبني الحضارات أو تهدمها .. وما الحضارات المعاصرة ، والحضارات الضاربة في ظلام الماضى ، والحضارات المستقبلية الا عناصر للملحمة الانسانية منذ فجر القرون الى نهاية الزمن . هذا أول ما يجيب عن سبب اهتمامنا بالاتصال الحضارى . نضيف الى ذلك الواقع المعاصر للوطن العربى والعالم الاسلامى بصفة عامة ، والظروف التى يمر بها حضاريا والتى يمكن أن نسميها مرحلة الارهاص الحضارى أو مرحلة التهيؤ للدخول في طور الحضارة .

أما السبب الثالث فهو أهمية أن تواكب وسائل الاتصال حركة المد الإسلامى لدى الشباب في معظم البلدان الاسلامية فهي قوة دافعة في البناء الحضارى بل هي أقوى القوى والدوافع بشهادة الجميع حتى منكرى الألوهية والرافضين لفكرة الدين بصفة عامة . ويقول (سيجموند فرويد) العالم النفسى الشهير والذى أفرد كتابا بعنوان (مستقبل وهم) ينعت فيه الدين بأنه مجرد وهم .. يقول سيجموند فرويد هذا في كتابه قلق في الحضارة (١٣) .

« لكننا لا نتخيل سمة أكثر تميزا للحضارة من القيمة المعلقة على النشاطات العليا من انتاجات فكرية وعلمية وفنية ، ولا مؤثرا ثقافيا موثوقا كالدور القيادى المنسوب اليها . وبين هذه الأفكار تحتل الأنظمة الدينية أرفع مكانة في سلم القيم وقد حاولت في وضع آخر أن أسلط الضوء على بنيتها المعقدة . وتصطف الى جانبها في المرتبة الثانية التأملات الفلسفية ، ثم أخيرا ما يمكن أن يسمى بالانشاءات المثالية لبنى الانسان أى الأفكار المتعلقة بإمكان تحسين وضع الفرد أو الشعب أو البشرية قاطبة » .

وبعد .. ألسنا في حاجة الى معرفة الطريق لنسلك الطريق ؟ اننا بالنظر الى وسائل الاتصال الحضارى وبتعمق أبعادها نسلك سبيلا يؤدى بنا — كعرب — الى دخول بوابة الحضارة الانسانية من جديد .. تلك البوابة التى خرجنا منها في ليل طويل دون أن ندري أننا خرجنا ؟

الهوامش

- (١٨) جوستاف لوبون — حضارة العرب (ترجمة عادل زعيتر)
الطبعة الرابعة — مطبعة عيسى البابى — القاهرة — ١٩٦٤ — ص ١٧٨ .
- (٢) المرجع السابق ص ٣٣٥ ، ص ٣٣٦ ، ص ٣٣٧ .
- (٣) د. حسين نصار — دور مصر الثقافى — العصر الحديث —
جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٨٢/٥/٢٣ م .
- (٤) جوستاف لوبون — المرجع السابق — ص ٥٦٧ ، ص ٥٦٨ .
- (٥) المرجع السابق — ص ٥٦٨ .
- (٦) د. على محمد القاسمى — اتجاهات حديثة فى تعليم اللغة
العربية للناطقين باللغات الأخرى — جامعة الرياض — ١٩٧٦ م ص ٣١ .
- (٧) الديوان مجتمع الصحف أو الدفتر ، يعنى ما يقيد فيه ويدون —
انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمى — السفر الأول — الطبعة
الثانية — مطبعة المدنى — القاهرة — ١٩٧٤ م — ص ٢٥ .
- (٨) عباس محمود العقاد — اثر العرب فى الحضارة الأوربية —
الطبعة الرابعة — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٥ — ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .
- (٩) د. حسين نصار — دور مصر الثقافى — جريدة الاهرام بتاريخ
١٩٨٢/٥/٢ ثم بتاريخ ١٩٨٢/٥/١٦ .
- (١٠) د. عيد الحليم النجار — مذاهب التفسير الاسلامى للعالم
المستشرق أجنسس جولد تسهر — مكتبة الخانجى بمصر ومكتبة المثنى
ببغداد — القاهرة — ١٩٥٥ — ص ١٧٣ .
- (١١) جوستاف لوبون — حضارة العرب (ترجمة عادل زعيتر)
الطبعة الرابعة — مطبعة عيسى البابى الحلبي — القاهرة — ١٩٦٤ —
ص ١٢٥ ، ص ١٢٦ .
- (١٢) مالك بن نبي — شروط النهضة (ترجمة عبد الصبور شاهين
ومر كامل مسقاوى) الطبعة الثانية — مكتبة دار العروبة — القاهرة —
١٩٦١ — ص ٢٠ .
- (١٣) سيجموند فرويد — قلق فى الحضارة — (ترجمة جورج
طرابيشى) — الطبعة الأولى — دار الطليعة — بيروت — ١٩٧٧ —
ص ٤٨ .

المراجع

- ١ — أمير اسكندر — الطريق لكسر اغلال العقل العربى — مجلة الوطن العربى — العدد ٢٢١ — ص ٦٤ • ٦٥ .
- ٢ — د. زكى نجيب محمود — تجديد الفكر العربى — الطبعة السابعة — دار الشروق (القاهرة وبيروت) ١٩٨٢ .
- ٣ — جوستاف لوبون — حضارة العرب (ترجمة عادل زعبير) — الطبعة الرابعة — مطبعة عيسى البابى الحلبي — القاهرة — ١٩٦٤ .
- ٤ — د. حسين نصار — دور مصر الثقافى (سلسلة مقالات) — جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٨٢/٥/٢ ، ١٩٨٢/٥/٩ ، ١٩٨٢/٥/١٦ . ١٩٨٢/٥/٢٣ ، ١٩٨٢/٥/٣٠ .
- ٥ — سيجموند فرويد — قلق فى الحضارة (ترجمة جورج طرابيشي) — الطبعة الاولى — دار الطليعة — بيروت — ١٩٧٧ .
- ٦ — عباس محمود العقاد — أثر العرب فى الحضارة الأوربية — الطبعة الرابعة — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٥ .
- ٧ — مالك بن نبي — مشكلات الحضارة — شروط النهضة (ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوى) — الطبعة الثانية — مكتبة دار العربى — القاهرة — ١٩٦١ .
- ٨ — د. محمود عودة — أساليب الاتصال والتغير الاجتماعى — دار المعارف — القاهرة — ١٩٧١ .
- ٩ — مجموعة بحوث بعنوان : دراسات فى اللغة والحضارة — الناشر وزارة الشؤون الثقافية — تونس — ١٩٦٥ .

الفهرس التفصلى

صفحة										
٥	مقدمة
v	تمهيد : الصحافة ليست مهنة البحث عن المتاعب							

الفصل الأول

بين الصحافة والتاريخ

١٣	— البعد الفلسفى
١٤	— تأريخ الصحافة ...
١٥	— التاريخ مادة صحفية
١٧	— الصحافة مصدر للتاريخ
١٩	— تنقية الشائعات

الفصل الثاني

بين القصة الأدبية والقصة الخبرية

٢٥	تعريف القصتين
٢٦	الجنور التاريخية للقصتين
٤٨	المحلية والعالمية
٥٢	التأثير والتأثر
٥٤	وجوه المقارنة
٦٦	المتابع الاقصوصى والصياغة الخبرية
٦٧	على المستوى الاجتماعى
٦٨	على المستوى الثقافى المهنى
٦٩	على المستوى الفنى

الفصل الثالث

ما المجلة العلمية ؟

[illegible]

صفحة

الفصل الرابع

الصحيفة والاعلام الدولي

- الملامح الخاصة ٩٥
- العرب وصحيفة دولية ٩٩

الفصل الخامس

كيف نفسر الراى العام ؟

- جذور الراى العام فى مصر الحديثة ١٠٦
- آثار اليقظة المفاجئة ١٠٨
- سلسلة الأحداث وأثرها فى تطور الراى العام ١١٠
- التعليم هو القاسم المشترك ١١٦

الفصل السادس

الاتصال الثقافى .. مفهومه ووسائله

- معنى الاتصال الثقافى فى مقابل الغزو الفكرى ١٢٥
- التداخل منطقى ووارد ١٢٦
- الأفكار المستوردة عبارة مضللة ١٢٧
- وسائل الاتصال الحضارى ١٢٨
- الأوجه الاتصالية للنشاط الدولى ١٤٧
- المقارنة بين الوسائل ١٤٧
- الاتصال الحضارى لماذا ؟ ١٤٩

* * *

- الفهرس التفصيلى ١٥٣
- كتب للمؤلف ١٥٥

كتب للمؤلف ...

في الدراسات الاعلامية :

- الاعلام والتنمية ، دار المعارف ١٩٧٩ طبعة ثانية .
- صناعة الكتاب ونشره ، دار المعارف ١٩٨٣ .
- اقتصاديات الاعلام (المؤسسة الصحفية) ١٩٧٩ .
- المسئولية الاعلامية في الاسلام — مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض ١٩٨٣ .
- الاعلام واللغة — عالم الكتب — القاهرة — ١٩٨٤ .

في الدراسات الأدبية :

- الزيات والرسالة ، دار الرفاعى بالرياض ١٩٨٢ .
- هيكل والسياسة الأسبوعية ، دار الرفاعى بالرياض ١٩٨٣ .
- الصحافة بين التاريخ والأدب — دار الفكر العربى — ١٩٨٥ .

في الشعر :

- موعد في النجوم (ديوان شعر) دار « تى » — ١٩٦٧ .
- سجين الريزة أبو ذر الغفارى — مسرحية شعرية — دار المأمون للطباعة والنشر ١٩٧٩ .
- ما ينفع الناس (ديوان شعر) دار المأمون للطباعة والنشر ١٩٨٣ .

في الترجمة :

- ليوناردو دافينشى ... طبعة أولى ١٩٦٨ . الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٨٥ .
- أغنية المسير (مسرحية مترجمة) تحت الطبع .

رقم الايداع ٢٠٠٨/١٩٨٥

طبعة الاستقلال الكبرى
٨ شارع نجيب الريحاني - القاهرة
تليفون: ٧٤٤٠٧٦ - ٧٤١٦٩٨

تطلب جميع منشوراتنا من
مؤسسة

دار الكتاب الحديث

للطبع والنشر والتوزيع

الكويت شارع فهد السالم عمارة السوق الكبير

بجوار المخازن الكبرى محل رقم ٢٥٠ أرضي

ت : ٤٣٦.٧٦٥ ص ٠ ب ٢٢٧٥٤